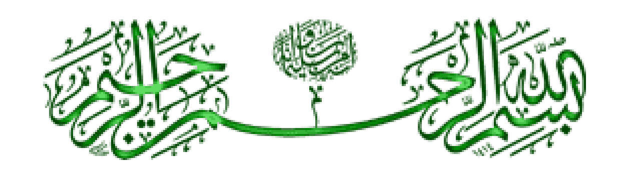
الكسل...الداء العضال، والمرض الفتاك

(صوره ـ أسبابه ـ أضراره ـ وكيفية العلاج منه)

الشيخ/ندا أبو أحمد



الكسل...الداء العضال، والمرض الفتاك

(صوره - أسبابه - أضراره - كيفية العلاج منه)

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب :٧٠،٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله -تعالى-، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

الكسل...الداء العضال، والمرض الفتاك

(صوره ـ أسبابه ـ أضراره ـ كيفية العلاج منه)

مقدمة لبيان أهمية الموضوع.

استعاذة النبي- صلى الله عليه وسلم- من الكسل.

الكسل من الشيطان.

أضرار الكسل:

١- ضياع العمر والصحة فيما لا فائدة فيه، وهو ما يعرف بالغبن.

٢- أنه سبب للغفلة والبعد عن الله تعالى.

٣- الاتصاف بصفات المنافقين.

٤- الحرمان في الدنيا من السيادة، والقيادة، والريادة.

٥- تفويت الأجور العظيمة.

٣- أنه سبب للحسرة والندامة.

مظاهر وصور من الكسل:

١- التكاسل عن طلب العلم.

٢- التكاسل عن العبادة.

٣- التكاسل عن الدعوة إلى الله تعالى.

٤- التثاقل عن الجهاد.

٥- سؤال الناس والتثاقل عن طلب الرزق.

٦- التثاقل في المشي.

أسباب الكسل:

١- ترك الذكر والصلاة.

٢- مجالسة الكسالى.

٣- كثرة النوم والأكل.

٤- طول الأمل.

٥- ضعف الهمة.

٦- ضعف الروح المعنوية.

٧- التهاون.

٨- البلادة (ضعف التفكير).

٩- الإصابة بالأمراض الجسدية.

١٠- إجهاد الجسد بكثرة العمل.

١١- الغلو في العبادة.

١٢- التخاذل والركون إلى الدنيا.

علاج الكسل:

١- النية الصادقة والإرادة القوية على ترك الكسل والإقبال على الطاعة.

٢- الإخلاص لله تعالى.

٣- الاستعانة بالله على طاعته.

٤- علو الهمة في الطاعة والإقبال عليها بقوة ونشاط وعدم التكاسل عنها.

٥- استغلال الأوقات لفعل الطاعات.

٦- الاستمرار على العمل الصالح وعدم الانقطاع.

٧- اتباع السنة عند اصابته بكسل أو فتور.

٨- مجاهدة النفس، والإقبال على الطاعة.

٩- مطالعة قصص الأنبياء وسير العلماء.

١٠- مجالسة المجتهدين.

١١- استنهاض الهمة، والسعي لطلب العلم.

١٢- تقوية محبه الله في القلب.

١٣- وضوح وتحديد الهدف.

١٤- محاسبة النفس.

١٥- تذكر النعم.

١٦- التبكير للعمل.

١٧- شغل الوقت وعدم ترك أوقات فراغ.

١٨- كثرة تلاوة القرآن الكريم، وملازمة كتب السنة.

١٩- الاعتماد على النفس.

٢٠- تقليل النوم والأكل.

٢١- اليقين بالجزاء.

٢٢- الشعور بالمسئولية.

٢٣- تنوع العبادات.

٢٤- الدعاء بالثبات.

٢٥- التعوذ بالله من الكسل.

٢٦- ذكر الموت، وقصر الأمل.

٢٧-التفكير في المآل.

بسم الله الرحمن الرحيم

الكسل...الداء العضال، والمرض الفتاك

(صوره - أسبابه - أضراره - كيفية العلاج منه)

إن هذا الموضوع من الأهمية بمكان خصوصًا في هذا الزمان حيث اجتاح الكسل المجتمع الإسلامي، وساد مناحي الحياة، والكسل داء عضال إذا تمكن من الإنسان أصاب دينه ودنياه، وهو عقبة كؤود في طريق السالكين إلى رب العالمين، فلا نجاح ولا فلاح إلا باجتيازها وتخطيها.

تعريف الكسل:

قال الطيبي[1] -رحمه الله- في تعريف الكسل:

هو التثاقل[2] عما لا ينبغي التثاقل عنه، ويكون ذلك لعدم انبعاث النفس للخير مع ظهور الاستطاعة[3].

وعرف النووي -رحمه الله- الكسل فقال:

" هو عدم انبعاث النفس للخير، وقلة الرغبة مع إمكانه ". (شرح النووي على مسلم: ١٧/ ٢٨).

والتكاسل: هو تعمد الكسل.

والمكسلة: ما يؤدى إلى الكسل: يقال الفراغ مكسلة، وفلان لا تكسله المكاسل أي لا تثقله وجوه الكسل. (المعجم الوسيط: ٢/ ٤٩٢ بتصرف).

مقدمة لبيان أهمية الموضوع:

جاء في حديث عند البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"... ويؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم، قلنا: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: مدحضة مزلة، عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها: السَّعدان، يمر المؤمن عليها كالطرف، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مُسلَّمْ، وناج مَخْدُوش، ومَكْدُوس في نار جهنم، حتى يمرَّ آخرهم يُسحَب سحبًا ".

- ***وقال عبد لله بن مسعود ﷺ:*** **" يأمر الله بالصراط، فيضرب على جهنم، فيمرُّ الناسُ على قدر أعمالهم زُمَرًا زُمَرًا، أوائلهم كلمح البرق، ثم كمرِّ الرِّيح، ثم كمرِّ الطير، ثم كمرِّ البهائم، حتى يمرِّ الرجل سعيًا وحتى يمرَّ الرجل مشيًا، حتى يمرَّ آخرهم يتلبَّط [4] على بطنه، فيقول: يا رب لِمَ بطَّأت بي؟ فيقول: إني لم أُبطِّيء بك إنما بطَّأ بك عملك [5]".**

(حسَّن إسناده شعيب الأرناؤوط في "تخريج أحاديث جامع العلوم والحكم :٢/٣٠٨" وقال: روي مرفوعًا وموقوفًا)

١- وكذلك قال الراغب في المفردات ص ٤٣١

٢- الثَقَلُ: ضد الخِفةِ، وتثاقل عنه: يعني ثَقُلَ وتباطأ

٣- وقول الطيبي- رحمه الله-" مع ظهور الاستطاعة" قيد مهم لأن الكسل بعد موجب لذلك، من عمل شاق أو سهر متتابع لضرورة فلا ذم عليه، والعبد إذا لم يعط نفسه حقها من الراحة انقطعت به عن الطاعة.

٤- يتلبَّط: يتقلَّب.

٥- هذا الأثر له حكم الرفع لأنه مما لا يقال بالرأي فهو من الأمور الغيبية.

وأخرج البيهقي بسنده عن مسروق عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" **يُجْمَعُ الناسُ يومَ القيامةِ...** *إلى أن قال:* **فيُعْطَوْنَ نُورَهم على قَدْرِ أعمالِهم، وقال: فمنهم مَن يُعْطَى نُورَه مِثْلَ الجبلِ بينَ يَدَيْهِ ، ومنهم مَن يُعْطَى نُورَه فوقَ ذلك ، ومنهم مَن يُعطَى نُورَه مِثْلَ النخلةِ بيمينِهِ ، ومنهم مَن يُعْطَى دون ذلك بيمينِه، حتى يكونَ آخِرُ مَن يُعْطَى نُورَه على إبهامِ قَدَمِه، يُضِيءُ مَرَّةً ويُطْفِئُ مَرَّةً ، وإذا أضاء قَدَّمَ قَدَمَه، وإذا طَفِئَ قام، قال فيَمُرُّ ويَمُرُّونَ على الصراطِ، والصراطُ كحَدِّ السَّيْفِ، دَحْضٌ، مَزَلَّةٌ، فيُقالُ لهم، امْضُوا على قَدْرِ نورِكم، فمنهم مَن يَمُرُّ كانْقِضاضِ الكوكبِ، ومنهم مَن يَمُرُّ كالرِّيحِ، ومنهم مَن يَمُرُّ كالطَّرْفِ، ومنهم مَن يَمُرُّ كشَدِّ الرَّحْلِ[1]، يَرْمُلُ رَمَلًا، فيَمُرُّونَ على قَدْرِ أعمالِهم، حتى يَمُرَّ الذي نورُه على إبهامِ قَدَمِه، تَخِرُّ يَدٌ، وتَعْلَقُ يَدٌ، وتَخِرُّ رِجْلٌ، وتَعْلَقُ رِجْلٌ، وتُصِيبُ جوانبَه النارُ فيَخْلُصُونَ، فإذا خَلَصُوا قالوا: الحمدُ للهِ الذي نَجَّانا منكِ بعدَ أن أَرَانَاكِ، لقد أعطانا اللهُ ما لم يُعْطِ أَحَدً** ". (ورواه الحاكم وصححه الألباني –رحمه الله– في تخريجه شرح الطحاوية)

فالملاحظ في الأحاديث السابقة هو تفاوت الناس في سرعة مرورهم على الصراط؛ وهذا بحسب درجة إيمانهم، ونشاطهم وأقبالهم على طاعة ربهم، وهناك من يتباطأ به عمله، وهناك من يُقعده كسله عن طاعة ربه، وهذا عين الخذلان والخسران.

يقول ابن كثير–رحمه الله– في" تفسيره عند قوله تعالى: **﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا ﴾** (مريم:٧٢)" :

" أي إذا مرَّ الخلائق كلهم على النار، وسقط فيها مَن سقط من الكفار والعصاة ذوي المعاصي، بحسبهم، نَجَّى الله تعالى المؤمنين منها بحسب أعمالهم، فجوازهم على الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التي كانت في الدنيا ". اهـ.

ويقول ابن القيم –رحمه الله– كما في "مدارج السالكين: ١/٦ ١" :

" وعلى قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على شفير جهنم، وعلى قدر سيره على هذا الصراط يكون سيره على ذلك الصراط، فمنهم مَن يمرُّ كالبرق، ومنهم مَن يمرُّ كالطرف، ومنهم مَن يمرُّ كالريح، ومنهم مَن يمر كشد الرِّكاب، ومنهم مَن يسعى سعيًا، ومنهم مَن يمشي مشيًا، ومنهم مَن يحبو حبوًا، ومنهم المخدوش المُسلَّم، ومنهم المكدوس في النار، فلينظر العبد سيره على ذلك الصراط من سيره على هذا حذو القُذَّة بالقُذَّة جزاءً وفاقًا، هل تجزون إلا ما كنتم تعملون ". اهـ.

١– كشَدِّ الرَّحْلِ: الشد هو العدو البالغ والجري.

وأهل الجنة كذلك يتفاوتون في المنازل والدرجات بحسب نشاطهم في العبادة وإقبالهم على الطاعة.

ويدل على هذا الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **" إنَّ أهلَ الجنةِ لَيتراءَون أهلَ الغُرَفِ من فوقِهم ، كما تُراءون الكوكبَ الدُّرِّيَّ الغابرَ في الأُفُقِ من المشرقِ أو المغربِ لتفاضُلَ ما بينهم...".**

وهناك صنف من الناس ظل بهم الكسل حتى أقعدهم عن العمل، فأولئك كالأنعام بل هم أضل.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (الأعراف:١٧٩)

وقال تعالى: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (الفرقان:٤٤)

يقول الراغب الأصفهاني -رحمه الله-:

" من تعطل وتبطَّل انسلخ من الإنسانية، بل من الحيوانية، وصار من جنس الموتى، ولأن الفراغ يبطل الهيئات الإنسانية، فكل هيئة بل كل عضو تُرك استعماله يبطل، كالعين إذا أغمضت، واليد إذا تعطلت، وكما أن البدن يتعود الرفاهية بالكسل، كذلك النفس بترك النظر والتفكر تتبلد وتتبله، وترجع إلى رتبة البهائم". (الذريعة إلى مكارم الشريعة ص٢٦٩، ٢٧٠).

استعاذة النبي- صلى الله عليه وسلم- من الكسل:

لخطورة الأمر وأهميته كان النبي ﷺ يكثر من الاستعاذة بالله من الكسل.

ففي صحيح مسلم من حديث زيد بن أرقم ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يقول: **" اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ القَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا[١] أَنْتَ خَيْرُ مَن زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ[٢]، وَمِنْ دَعْوَةٍ لا يُسْتَجَابُ لَهَا ".**

قال النووي -رحمه الله- كما في" شرح مسلم: ١٧/ ٣٢":

" الكسل: عدم انبعاث النفس للخير وقلة الرغبة فيه مع إمكانه، وأما العجز: فعدم القدرة عليه، وقيل: هو ترك ما يجب فعله والتسويف به، وكلاهما تستحب الإعاذة منه ". اهـ.

وقال القرطبي -رحمه الله- كما في" المفهم: ٧/ ٣٤":

" الكسل المتعوَّذ منه هو التثاقل عن الطاعات وعن السعي في تحصيل المصالح الدينية والدنيوية، والعجز المتعوذ منه هو عدم القدرة على تلك الأمور". اهـ.

وقال ابن بطال -رحمه الله- كما في" فتح الباري: ١٠/ ١٧٧":

" والاستعاذة من العجز والكسل؛ لأنهما يمنعان العبد من أداء حقوق الله وحقوق نفسه وأهله، وتضييع النظر في أمر معاده وأمر دنياه، وقد أُمر المؤمن بالاجتهاد في العمل والإجمال في الطلب، ولا يكون عالةً ولا عيالًا على غيره ما مُتِّع بصحة جوارحه وعقله ". اهـ.

ويقول ابن القيم -رحمه الله- كما في" زاد المعاد ٢/ ٣٥٨، ٣٦١، ٣٦٢":

" وأصل المعاصي كلها العجز، فإن العبد يعجز عن أسباب أعمال الطاعات، وعن الأسباب التي تُبعده عن المعاصي وتحول بينه وبينها فيقع في المعاصي، والمقصود أن النبي ﷺ استعاذ من الهمِّ والحزن وهما قرينان، ومن العجز والكسل وهما قرينان، فإنَّ تخلف كمال العبد وصلاحه عنه: إما أن يكون لعدم قدرته عليه فهو عجز، أو يكون قادرًا عليه لكن لا يريد فهو كسل، وينشأ عن هاتين الصفتين فوات كل خير، وحصول كل شر، ومن ذلك الشر: تعطيله عن النفع ببدنه وهو الجبن، وعن النفع بماله وهو البخل، ثم ينشأ له بذلك غلبتان: غلبة بحق وهي غلبة الدَّين، وغلبة بباطل: وهي غلبة الرجال، وكل هذه المفاسد ثمرة العجز والكسل [٣]". اهـ.

---

١ - زكها: أي طهرها.

٢ - ومن نفس لا تشبع: معناه استعاذة من الحرص والطمع والشره، وتعلق النفس بالأموال

٣- استفدت كثيرًا من رسالة ذم الكسل للشيخ عبد الله بن أحمد بن لحح الخولاني - حفظه الله-.

الكسل من الشيطان

مما لا شك فيه أن الشيطان عدو للإنسان كما قال الرحمن ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (يوسف:٥) فعداوته للإنسان ظاهرة وهو يسلك كل السبل لإغوائه والوقوع في شراكه وهذا ما صرح به اللعين فقال مخاطبًا رب العالمين: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف:١٦،١٧)

فالشيطان توعد بأن يأتي بنى آدم من جميع الجهات للتزهيد في الآخرة، والترغيب في الدنيا، وإلقاء الشبهات، وتحسين الشهوات. فالشيطان حريص على أن يصد الناس عن وجوه الخير كلها وله في صرف الناس عن طرق الخير سبل ووسائل مختلفة، فهو يأتي لكل نفس من طريق يناسبها ولغاية واحدة وهي: صرفه عن الرشد إلى الغي، وعن اتباع الشرع إلى اتباع الهوى، وعن الجنة إلى النار.

ففي جانب النهي–أي ما نهى الله عنه–: فإن الشيطان يوسوس في النفوس ويزين المحرم، ويحث على الإقدام على المحرمات، ويهون أمرها، ويعد ويمنى التوبة، ويذكر بسعة رحمة الله ﷻ.

قال تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا﴾ (النساء:١٢٠)

وقال تعالى: ﴿. . . . وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاء وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٦٨،١٦٩)

أما في جانب الأمر–أي ما أمر الله به –: فيقول ابن القيم–رحمه الله– كما في كتابه" الوابل الصيب ص٣٩،٤٠": " ما أمر الله ﷻ بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما تقصير وتفريط، وإما إفراط وغلو. فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين، فإنه يأتي إلى قلب العبد فيشتامه، فإن وجد فيه فتورًا وتوانيًا وترخيصًا أخذه من هذه الخطة فثبطه وأقعده وضربه بالكسل والتواني والفتور، وفتح له باب التأويلات والرجاء وغير ذلك، حتى ربما ترك العبد المأمور جملة. وإن وجد عنده حذرًا، وجِدًّا وتشميرًا ونهضة وأيس أن يأخذه من هذا الباب أمره بالاجتهاد الزائد وسول له أن هذا لا يكفيك وهمتك فوق هذا، وينبغي لك أن تزيد على العاملين، وأن لا ترقد إذا رقدوا، ولا تفطر إذا أفطروا، وأن لا تفتر إذا فتروا، وإذا غسل أحدهم يديه ووجهه ثلاث مرات فاغسل أنت سبعًا، وإذا توضأ للصلاة فاغتسل أنت لها، ونحو ذلك من الإفراط والتعدي، فيحمله على الغلو والمجاوزة وتعدي الصراط المستقيم، كما يحمل الأول على التقصير دونه وأن لا يقربه، ومقصود من الرجلين إخراجهما عن الصراط المستقيم: هذا بأن لا يقربه ولا يدنو منه، وهذا بأن يجاوزه ويتعداه، وقد فتن بهذا أكثر الخلق ولا ينجي من ذلك إلا علم راسخ، وإيمان، وقوة على محاربته، ولزوم الوسط، والله المستعان". اهـ باختصار.

فالشيطان– لعنه الله – مصدر الغلو والكسل، بل هو مصدر كل فتنة وشر، وما من خير وفضيلة إلا ووقف في طريقها صادًا، وما من شر ورذيلة إلا ودعا إليها وحث عليها، وقد تبين مما سبق أن كسل العبد وتفريطه من الشيطان.

ومما يدل على ذلك الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:

" إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العُطاسَ، ويَكْرَهُ التَّثاؤُبَ، فإذا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ، فَحَقٌّ علَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أنْ يُشَمِّتَهُ، وأَمَّا التَّثاؤُبُ: فإنَّما هو مِنَ الشَّيْطانِ[1]، فَلْيَرُدَّهُ ما اسْتَطاعَ، فإذا قالَ: ها، ضَحِكَ منه الشَّيْطانُ ".

وعند مسلم أيضًا من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن الحبيب النبي ﷺ قال: **" إذا تَثاءَبَ أحَدُكُمْ، فَلْيُمْسِكْ بيَدِهِ علَى فِيهِ، فإنَّ الشَّيْطانَ يَدْخُلُ.. ".**

فأخبر النبي ﷺ في الأحاديث السابقة أن التثاؤب من الشيطان وهذا التثاؤب يدل على الكسل والخمول.

قال القرطبي –رحمه الله– كما في" المفهم: ٦/ ٦٢٥":

التثاؤب أصله من ثاب الرجل إذا استرخى وكسل، ونسبته إلى الشيطان، لأنه يصدر عن تكسيله فإنه قل إن يصدر ذلك التثاؤب مع النشاط، وقيل: نسب إليه لأنه يرتضيه. اهـ.

وقال المناوي –رحمه الله– كما في" فيض القدير ٢/ ٢٩٨":

التثاؤب بالهمز وقيل بالواو: هو تنفس ينفتح منه الفم بلا قصد، وذلك لأنه يكون عن امتلاء البدن وثقله، وكثرة الغذاء، وميله إلى الكسل، فيثبط صاحبه عن الطاعة، فيضحك منه الشيطان، ولهذا شرع كظمه وردُّه ما أمكن.

وفائدة الكظم هي: عدم دخول الشيطان، ودحره وإغاظته لأنه يفرح بكسل الإنسان، فالكظم يكيده ويخزيه.

يقول ابن بطال –رحمه الله– كما في" شرح البخاري: ٩/ ٣٦٩":

" فواجب اخزاؤه ودحره بردِّ التثاؤب، كما أمر النبي ﷺ ". اهـ.

١- قال ابن بطال- رحمه الله - كما في" فتح الباري: ٩/ ٣٧٠": ومعني إضافة التثاؤب إلى الشيطان: إضافة رضى وإرادة، أي أن الشيطان يحب أن يرى تثاؤب الإنسان، لأنها حال المُثْلَة وتغيير لصورته فيضحك من جوفه، لا أن الشيطان يفعل التثاؤب في الإنسان لأنه لا خالق للخير والشر غير الله، وكذلك كل ما جاء من الأفعال المنسوبة إلى الشيطان فإنها على معنيين: إما إضافة رضى وإرادة، أو إضافة بمعني الوسوسة في الصدر، والتزيين. اهـ.

وقال القرطبي -رحمه الله- كما في" المفهم: ٥/ ٦٢٥":

وقول النبي ﷺ: "**ضحك الشيطان منه**" يعنى سخرية به، لأنه صدر عنه التثاؤب الذي يكون عن الكسل، وذلك كله يرضيه لأنه يجد به طرقا إلى التكسيل عن الخيرات والعبادات ولهذا جاء في بعض طرق الحديث " **التثاؤب في الصلاة من الشيطان**[1] ". لأن ذلك يدل على كسله فيها، وعدم نشاطه، فتثقل عليه فيملها فيستعجل فيها، أو يخل بها.

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- كما في" شرح رياض الصالحين:٣/ ٤٣":

" التثاؤب من الشيطان، ولهذا كان الله يكرهه لأن التثاؤب يدل على الكسل والشيطان يحب من ابن آدم أن يكون كسولًا فتورًا، أعاذنا الله وإياكم منه ويكره الشيطان الرجل النشيط الجاد الذي دائما يكون في عزم وقوة ونشاط ". اهـ.

فالتثاؤب رمز الكسل وشعاره، وسلاح من أسلحة الشيطان، وجند من جنوده بعكس العطاس الذي ينفض عن العبد غبار الكسل ويجدد الحيوية في الجسد.

تنبيه:

قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-:

وهناك فائدة إذا كان التثاؤب من الشيطان فهل يقول المتثائب:" أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" عند تثاؤبه؟ والجواب: أن العبادة مبناها التوقف، وقد علمنا النبي ﷺ أحكام التثاؤب بالتفصيل وكيف نتعامل معه، ولم يدلنا أن نقول الاستعاذة، وعليه؛ فعند التثاؤب هناك سنة فعلية؛ وهي كظمه، ورده وليس فيه سنة قولية تثبت فيما نعلم والله أعلم ". اهـ.

١- أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -.

أضرار الكسل

الكسل له أضرار كثيرة، ومفاسد عظيمة، وهذه الأضرار والمفاسد تعود على المرء في دينه ودنياه، ومنها:

١ - ضياع العمر والصحة فيما لا فائدة فيه، وهو ما يعرف بالغبن:

فالصحة والفراغ من أعظم نعم الله على العبد، وكل نعمة مفتقرة إليهما، فاستغلال أوقات الفراغ في طاعة الرحمن سبيل لسكنى أعالي الجنان، وهذه الطاعات لا تفعل على وجه التمام إلا لمن كانت لديه صحة تعينه على فعل هذه الطاعة بقوة ونشاط.

أما الكسول والذي من الله عليه بنعمة الصحة والفراغ فإنه يضيع الأوقات وهي أغلى ما يملك دون أي فائدة تذكر، ولا أي عمل صالح يشهر، والصحة في النقصان، والعمر يهدر ويظل هكذا إلى أن يُقْبر فما أعظم غبن الكسول المهمل. ***وقد جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:*** " **نعمتانِ مغبونٌ فيهما كثيرٌ منَ النَّاسِ الصِّحَّةُ والفراغُ** ".

يقول ابن الجوزي-رحمه الله- كما في" فتح الباري: ١١/٥٧٦ ":

قد يكون الإنسان صحيحا ولا يكون متفرغا لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنيا ولا يكون صحيحا، فإذا اجتمعا-أي الصحة والفراغ- فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون، وتمام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط ومن استعملهما في معصية الله فهو المغبون، لأن الفراغ يعقبه الشغل، والصحة يعقبها السقم، ولو لم يكن إلا الهرم ". اهـ.

ويقول الماوردي -رحمه الله- كما في" أدب الدنيا والدين ص١٩":

" فينبغي- أحسن الله اليك بالتوفيق- ألا تضيع صحة جسمك وفراغ وقتك بالتقصير في طاعة ربك والثقة بسالف عملك، فاجعل الاجتهاد غنيمة صحتك، والعمل فرصة فراغك، فليس كل الزمان مسعدًا، ولا ما فات مستدركا، فالعمر أقصر من أن ينفد في غير المنافع، والمال اقل من أن يصرف في غير الصنائع والعاقل أجلّ من أن يغنى أيامه فيما لا يعود عليه نفعه وخيره وينفق أمواله فيما لا يحصل له ثوابه وأجره ". اهـ.

ويقول السفاريني -رحمه الله- كما في" غذاء الألباب شرح منظومة الآداب ٢/٤٤٤":

" إياك والغبن، والتمادي في الكسل، وهوى النفس، وأجهد في فكاك نفسك وخلاصها من القيود ". اهـ.

فكل من لا يستغل صحته وفراغه في طاعة الله سيندم يوم لا ينفع الندم.

ويقول القاري –رحمه الله– كما في" المرقاة شرح المشكاة: ٩/٥": " ولا يعرف قدر هاتين النعمتين كثير من الناس حيث لا يكسبون فيهما من الأعمال كفاية ما يحتاجون إليه في معادهم فيندمون على تضييع أعمارهم عند زوالها ولا ينفعهم الندم. **قال تعالى:** ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ (التغابن: ٩)

وقال ابن بطال–رحمه الله– كما في" فتح الباري ١٠/ ١٤٦": "فمن أنعم الله عليه بهما فليحذر أن يغبنهما، ومما يستعان به على دفع الغبن أن يعلم العبد أن الله تعالى خلق الخلق من غير ضرورة إليهم، وبدأهم بالنعم الجليلة من غير استحقاق منهم لها، فَمَنَّ عليهم بصحة الأجسام وسلامة العقول، وتضمن أرزاقهم، وضاعف لهم الحسنات ولم يضاعف عليهم السيئات، وأمرهم أن يعبدوه ويعتبروا بما ابتدأهم به من النعم الظاهرة والباطنة، ويشكروه عليها بأحرفٍ يسيرة، وجعل مدة طاعتهم فى الدنيا منقضية بانقضاء أعمارهم، وجعل جزاءهم على ذلك خلودًا دائمًا فى جنات لا انقضاء لها مع ما ذخر لمن أطاعه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فمن أمعن النظر فى هذا كان حريًا ألا يذهب عنه وقت من صحته وفراغه إلا وينفقه فى طاعة ربه، ويشكره على عظيم مواهبه والاعتراف بالتقصير عن بلوغ كنه تأدية ذلك، فمن لم يكن هكذا وغفل وسها عن التزام ما ذكرنا، ومرت أيامه عنه فى سهو ولهو وعجز عن القيام بما لزمه لربه تعالى فقد غبن أيامه، وسوف يندم حيث لا ينفعه الندم".

٢- ومن أضرار الكسل: أنه سبب للغفلة والبعد عن الله- تعالى:-

فمن الناس من يظل به الكسل حتى يثقل عليه الخير وأعمال البر فتراه لا يحضر مجالس العلم وإذا حضر كانت عليه ثقيلة ثقل الجبال وتراه لا يذكر الرحمن، ولا يقرأ القرآن، ولا يصل الأرحام، وإذا حضر إلى الصلاة يحضر بكسل وفتور بل ربما يظل به الكسل حتى يتخلف عنها.

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن عبد الله بن عمر وأبي هريرة –رضي الله عنهم– أَنَّـهُما سَمِعا رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ علَى أعْوادِ مِنْبَرِهِ: " لَيَنْتَهِينَّ أقْوامٌ عن ودْعِهِمُ الجُمُعاتِ، أوْ لَيَخْتِمَنَّ اللَّهُ علَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكونُنَّ مِنَ الغافِلِينَ ".

قال القاضي عياض–رحمه الله– كما في" فيض القدير:٥/ ٣٧٩": " معنى هذا أن أحد الأمرين كائن لا محاله إما الانتهاء عن تركها وإما الختم، فإن اعتياد تركها يزهد في الطاعة، ويجر إلى الغفلة. اهـ.

وقد قيل: " تخلف ثلاثة عن الرسول ﷺ في غزوة، فجرى لهم ما علمت، فكيف بمن عمره في التخلف عنه؟! ". (بدائع الفوائد: ٣/ ١٢٠٨)

٣- من أضرار الكسل: الاتصاف بصفات المنافقين:

الكسل عن الطاعات والقربات متأصل في المنافقين، ولذلك فإنه من أبرز علاماتهم وصفاتهم، وقد نعتهم الله بذلك على سبيل الذم والتحقير. **قال تعالى:** ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء: ١٤٢)

فهذا حال المنافقين إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى متثاقلين، لأنه لا إيمان يدفعهم لفعل الخيرات، ولا خوف يمنعهم عن ترك المنهيات.

يقول ابن كثير-رحمه الله- في تفسير هذه الآية:١/٧٨٠،٧٨١": هذه صفة المنافقين في أشرف الأعمال وأفضلها وخيرها، وهي الصلاة، إذا قاموا إليها قاموا وهم كسالى عنها، لأنهم لا نية لهم فيها ولا إيمان لهم بها، ولا خشية ولا يعقلون معناها، وقد روى عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: يكره أن يقوم الرجل إلى الصلاة وهو كسلان، ولكن يقوم إليها طلق الوجه، عظيم الرغبة، شديد الفرح، فإنه يناجي الله تعالى، وأن الله أمامه يغفر له ويجيبه إذا دعاه، ثم تلا ابن عباس **(وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى)** ". اهـ. بتصرف.

وسبب قيامهم إلى الصلاة – رُغْم الكسل والثقل الذي يجدونه **هو كما قال تعالى:** **(يُرَآؤُونَ النَّاسَ)** ولو أتيحت لهم الفرصة في التخلف عن الصلاة، لتخلفوا، ولهذا لا يشهدون صلاة العشاء والفجر حيث الظلمة الشديدة فهم لا يُرون فيها، ***وقد قال النبي ﷺ واصفًا لهم:*** " **إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى المُنَافِقِينَ صَلَاةُ العِشَاءِ، وَصَلَاةُ الفَجْرِ** ". (رواه مسلم).

يقول علي رضي الله عنه : " **للمنافق ثلاث علامات يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان بين الناس، ويزيد في العمل إذا أثنى عليه، وينقص إذا ذُمَّ** " . (الزواجر في اقتراف الكبائر: ١/٦٣)

وقال تعالى أيضًا عن المنافقين: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (التوبة: ٥٤)

فتضمنت هذه الآية زيادة وصفهم أنهم لا ينفقون إلا على كراهية، لأنهم يعدونها مغرمًا، ولذلك فإن المنافق متكاسل عن أدائها، متردد في بذلها. **والمنافقون موصوفون أيضًا بالكسل في الجهاد**

قال تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (التوبة ٨١،٨٢)

الحاصل أن حالة المنافقين عند سائر أعمال البر والطاعات والقربات من فرائض ومستحبات هي التكاسل والتثاقل والتهرب، وهذا حال المنافق.

يقول القرطبي-رحمه الله- في" تفسيره:٨/١٤٨": " النفاق يورث الكسل في العبادة لا محالة ". اهـ.

٤- ومن أضرار الكسل: الحرمان في الدنيا من السيادة، والقيادة، والريادة:

وحرمان السيادة والقيادة والريادة يكون على المستوى الخاص والعام.

أما المستوى الخاص: فالكسول لا ينال شرف السيادة بين الناس. فما عُلم أن كسلان أو وسنان صاحب الهمة الضعيفة ساد قومه، أو نال درجة عالية بين أقرانه.

يقول ابن القيم -رحمه الله- كما في كتابه " شفاء العليل ص٢٢٥":

إن العقلاء قاطبة متفقون على استحسان إتعاب النفوس في تحصيل كمالاتها من العلم والعمل الصالح والأخلاق الفاضلة، وطلب محمدة من ينفعهم حمده وكل من كان أتعب في تحصيل ذلك كان أحسن حالا، وأرفع قدرًا، وكذلك يستحسنون إتعاب النفوس في تحصيل الغنى والعز والشرف، ويذمون القاعد في ذلك وينسبونه إلى دناءة الهمة وخسة النفس وضعة القدر ". اهـ.

فمن لبس رداء الكسل، والتحف بغطاء الراحة، انحط قدره، وخمل ذكره.

وقيل في حق الكسلان تهكمًا:

دع المكارم لا تنهض لبغيتها واقعد فإنك الطاعم الكاسي

فالكسول لا يسود ولا يقود، ودائما يحتاج لغيره، فهو عالة على الآخرين:

بجانب أن الكسول أضاع دينه، فلا يقيمه كما أمره الله، ولا يتعلم كيف يعبد الله، ولا يهتم بتقصيره فإنه بكسله؛ أضاع كذلك نفسه حيث يحتاج دائما إلى غيره في شؤون حياته، وبكسله؛ أضاع زوجته وأولاده حيث لم يوفر لهم الحياة الكريمة.

وقد جاء في سنن أبي داود عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:

" **كفى بالمرءِ إثمًا أن يُضَيِّعَ من يقوتُ** ". (ضعيف)

وفي صحيح مسلم: " **وأن لزوجِك عليك حقًا** ". *وفي رواية:* " **وإنَّ لِوَلَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا** ".

وعند البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: " **اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وابْدَأْ بِمَن تَعُولُ، وخَيْرُ الصَّدَقَةِ عن ظَهْرِ غِنًى، ومَن يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، ومَن يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ** ".

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:" إن العبد إذا كان زاهدا بطالا، فسد أعظم فساد، وهؤلاء لا يعمرون الدنيا ولا الآخرة ". اهـ. (مجموع الفتاوى:٢٠/١٥٠)

وقد قيل: الجاهل يعتمد على الأمل، والعاقل يعتمد على العمل. (فيض القدير:٤/٢٢٩)

وقيل أيضًا: من أراد السيادة فعليه بترك الوسادة.

فالكسول لا ينال شرف السيادة بين الناس، لأنه اكتفي بالكسل، ورضى أن يعيش عالة على غيره.

وقد مر بنا كلام ابن بطال -رحمه الله- حيث قال كما في" فتح الباري: ١٠/١١٧":

" والعجز والكسل يمنعان العبد من أداء حقوق الله، وحقوق نفسه وأهله، وتضييع النظر في أمر معاده وأمر دنياه، وقد أمر المؤمن بالاجتهاد في العمل والإجمال في الطلب ولا يكون عالة ولا عيالًا على غيره ما مُتع بصحة جوارحه وعقله ". اهـ.

أما على المستوى العام، فإن الكسل يؤدى بالأمم إلى التخلف عن ركب الحضارة والتقدم:

فالكسل طريق انهيار الشعوب والأمم، فأمّة يَكْسُل أبناؤها أمّة لا تبني ولا تُعمِّر، بل تتراجع عن موكب التقدم والحضارة. ولهذا لما سئل بعض البرامكة عن سبب زوال ملكهم، قال: " نوم الغدوات، وشرب العشيات ". (روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار: ١/ ٣٨٧)

ويقول ابن القيم -رحمه الله- كما في" شفاء العليل: ص٢٥٠": أجمع العقلاء قاطبة على أن النعيم لا يدرك بالنعيم، وأن الراحة لا تنال بالراحة، وأن من آثر اللذات فاتته اللذات ".

وكما قيل: الجَدُّ في الجِدِّ، والحرمان في الكسل.. فانصب تُصب عن قريب غاية الأمل، فهناك من الأمم المحدودة الموارد ولكن أفرادها من أصحاب الهمم العالية والإرادة القوية فسادوا وقادوا، وهناك من الأمم والتي حباها الله بالثروات البشرية والطبيعية ما لا حصر لها، ولكن إرادتها مسلوبة، وهمتها خامدة، فكأن الفشل حليفها والتخلف شعارها، والفقر دثارها.

وفي ذلك قال هلال بن العلاء الرفاء:

كأن التواني أنكح العجز بنته ... وساق إليها حين زوجها مهرًا

فراشًا وطيئًا ثم قال لها اتكئ ... فإنكمـا لا بد أن تلدا الفقرا

(المستطرف: ٢/١٧٧)

فإذا اتصف أبناء الأمة بالكسل فهذا سبب في تأخرها بين الأمم، لأن العمل والإنتاج هما عصب الحياة، فالأمة المنتجة القوية لها السيادة والقيادة بين الأمم، ولذلك لا سبيل إلى رفعة الأمة وقوتها إلا بالعمل والتخلي عن الكسل.

قال المناوي-رحمه الله- كما في" فيض القدير ١/ ٢١٥": " وقد قيل من رام العلا من غير كدٍّ أضاع العمر في طلب المحال. اهـ.

لذا حثنا الله- تعالى- على العمل والجد والسعي وسوى بين هذا وبين الجهاد في سبيله؛ **فقال سبحانه:**

﴿ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (المزمل: ٢٠)

قال الإمام القرطبي-رحمه الله- في" تفسيره ١٩/ ٥٥ عند هذه الآية ": " سوى الله في هذه الآية بين درجة المجاهدين وبين المكتسبين المال الحلال للنفقة على نفسه وعياله، والإحسان والإفضال، فكان هذا دليلًا على أن كسب المال بمنزلة الجهاد، لأنه جمعه مع الجهاد في سبيل الله. اهـ.

وقد بيَّن النبي ﷺ أن العمل والسعي من أجل إعفاف النفس وإعالة الأولاد، وسد حاجة الوالدين، نوع من أنواع الجهاد في سبيل الله:

فقد أخرج البيهقي في السنن الكبرى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " **بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذ طلع علينا شاب من الثنية، فلما رأيناه بأبصارنا قلنا: لو أن هذا الشاب جعل شبابه ونشاطه وقوته في سبيل الله ؟ قال: فسمع مقالتنا رسول الله ﷺ فقال: "وما سبيلُ اللهِ إلا من قتل ؟ من سعى على والديه ففي سبيل الله، ومن سعى على عياله ففي سبيل الله، ومن سعى على نفسه ليُعفها ففي سبيل الله، ومن سعى على التكاثر فهو في سبيل الشيطان** ". (قال الألباني: وإسناده جيد)

وفي رواية عند الطبراني في معاجمه الثلاثة عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: " **مر على النبيِّ ﷺ رجلٌ فرأى أصحابُ النبي ﷺ جَلَده ونشاطَه فقالوا: يا رسول الله! لو كان هذا في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ:" إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبويه شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياءً ومفاخرةً فهو في سبيل الشيطان** ". (صحيح الجامع: ١٤٢٨)

٥- ومن أضرار الكسل: تفويت الأجور العظيمة:

فالكسل ربما يحمل الإنسان إلى ترك السنن الرواتب فيفوته بذلك بيت في الجنة، ويترك صيام النافلة فيفوته أن يباعد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا، أو صيام ثلاثة أيام من كل شهر، فيفوته صيام الدهر، ويترك قراءة القرآن فيفوته بكل حرف عشر حسنات فضلا عن ما يفوته في مجالس العلم من أجر وثواب، وغير ذلك من النوافل والمستحبات والتي يفوته بتركها كثير عن الأجر والثواب، بل ربما يحمل الكسل صاحبه حتى يترك الواجبات، وهذا عين الخسران.

وقد قيل في المثل: من اختار الكسل، ما اشتار العسل[1].

وقال بعض الحكماء: نكح العجزُ التواني فخرج منهما الندامة، ونكح الشؤمُ الكسل فخرج منهما الحرمان. (أدب الدنيا والدين ص ٣٠٨)

وقيل: دع التكاسل في الخيرات تقبلها ... فليس يسعدُ بالخيرات كسلان

يقول ابن القيم -رحمه الله- كما في كتابه" مفتاح دار السعادة: ١/٣٧٣ ":

" أعظم الأسباب التي يحرم بها العبد خير الدنيا والآخرة، ولذة النعيم في الدارين، ويدخل عليه عدوه منها؛ هو الغفلة المضادة للعلم، والكسل المضاد للإرادة والعزيمة، هذان أصلُ بلاءِ العبد وحرمانه منازل السعداء، وهما من عدم العلم ". اهـ.

١- اشتار: أي جمعه وجناه.

٦- ومن أضرار الكسل: أنه سبب للحسرة والندامة:

قال ابن القيم -رحمه الله- في" كتابه بدائع الفوائد":

العجز والكسل قرينان وهما من أسباب الألم، لأنهما يستلزمان فوات المحبوب.

فالعجز يستلزم عدم القدرة، والكسل يستلزم عدم إرادته، فتتألم الروح لفواته بحسب تعلقها به والتذاذها بإدراكه لو حصل. اهـ.

ويقول ابن الجوزي- رحمه الله- كما في" صيد الخاطر ص٣١٤":

" وأي عيش لمن ساكن الكسل إذا رأى أقرانه قد برزوا في العلم وهو جاهل، واستغنوا وهو فقير، فهل يبقى للالتذاذ بالكسل والراحة معنى؟ ". اهـ.

وقال الشوكاني -رحمه الله- كما في" أدب الطلب ص١٣٥":

من أرسل عنان شبابه في البطالة، وحل رباط نفسه فأجراها في ميادين الملذات لكنها تتقضي عنه اللذة، وتفارقه هذه الحلاوة، وتداهمه المرارات التي منها الندامة على اقترافه من معاصي الله، ثم الحسرة على ما فوته من العمر في غير طائل وتزداد حسرته إذا قاس نفسه بمن اشتغل بالمعالي من أترابه في مقتبل شبابه فإنه لا يزال عند مقارنته ذاته بذاته، وصفاته بصفاته في حسرات متجددات وزفرات متصاعدات، وقد فات ما فات ". أهـ بتصرف واختصار.

ويقول ابن القيم -رحمه الله-:

" من نام على فراش الكسل، أصبح ملقى بوادي الأسف ".

وقد قيل: " من دام كسله خاب أمله " (أدب الدنيا والدين ص٣٠٨)

وأكثر الناس حسرة يوم القيامة الكسالى المفرطين في جنب الله، **قال تعالى:** ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ (الزمر: ٥٦)

وقال تعالى واصفًا حال هؤلاء يوم القيامة: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ (الفجر: ٢١-٢٤)

مظاهر وصور من الكسل

١- التكاسل عن طلب العلم:

يقول الإمام أحمد -رحمه الله-: " الناس محتاجون إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب ".

وصدق الإمام أحمد، فالناس يحتاجون إلى الطعام في اليوم مرة أو مرتين، لكن يحتاجون إلي العلم في كل لحظة، فبه قوام الدنيا والدين، وبه يُعرف الله ويعبد، وبه اهتدى السالكون، وبه تُعرف شرائع الإسلام، وبه يفرق الإنسان بين الحق والباطل، والشك واليقين، والغي والرشاد، والهدى والضلال.

ولذلك أمر الله بالازدياد منه، **فقال تعالى:** ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه:١١٤) وقد أثنى الله تعالى على العلم والعلماء بما يحتاج استيعابه إلى أسفار. ويكفي شرفًا لأهل العلم أن الله ﷻ استشهد بهم على أجلِّ مشهود به، وهو التوحيد، وقرن شهادتهم بشهادته، وشهادة ملائكته، وفي ضمْن ذلك تعديلهم، **قال تعالى:** ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران: ١٨)

وأخبر عن رفعة درجات أهل العلم في الدنيا والآخرة **كما قال تعالى:**

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: ١١)

وثبت في صحيح مسلم **أَنَّ نَافِعَ بنَ عبدِ الحَارِثِ لَقِيَ عُمَرَ بعُسْفَانَ، وَكانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ علَى مَكَّةَ، فَقالَ: مَنِ اسْتَعْمَلْتَ علَى أَهْلِ الوَادِي، فَقالَ: ابْنَ أَبْزَى، قالَ: وَمَنِ ابنُ أَبْزَى؟ قالَ: مَوْلًى مِن مَوَالِينَا، قالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عليهم مَوْلًى؟! قالَ: إنَّه قَارِئٌ لِكِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وإنَّه عَالِمٌ بالفَرَائِضِ، قالَ عُمَرُ: أَمَا إنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قدْ قالَ: إنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بهذا الكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ به آخَرِينَ ".**

قال المزني: سمعت الشافعي-رحمه الله- يقول: " من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن نظر في الفقه نبل مقداره، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه ". اهـ.

- **فمن نال العلم فقد نال شرف الدنيا والآخرة، ومن أقبل عليه واغترف منه، فقد أراد الله به الخير.**

فقد أخرج البخاري ومسلم عن معاوية ﷺ أن النبي ﷺ قال: **" مَن يُرِدِ اللَّهُ به خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ ".**

- **ومن سلك طريق العلم فقد سلك سبيل الجنة، وكان من ورثة الأنبياء -عليهم السلام-.**

كما ورد ذلك في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي الدرداء ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: **" مَن سلَكَ طريقًا يلتَمسُ فيهِ علمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طريقًا إلى الجنَّةِ، وإنَّ الملائِكَةَ لتَضعُ أجنحتَها لطالِبِ العلمِ رضًا بما يصنعُ وإنَّ العالم ليستغفِرُ لَهُ مَن في السَّمواتِ ومن في الأرضِ، حتَّى الحيتانِ في الماءِ، وفضلَ العالمِ على العابدِ كفَضلِ القمرِ على سائرِ الكواكبِ، وإنَّ العُلَماءَ ورثةُ الأنبياءِ إنَّ الأنبياءَ لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا إنَّما ورَّثوا العلمَ فمَن أخذَهُ أخذَ بحظٍّ وافرٍ ".**

قال القرطبي -رحمه الله- كما في" المفهم: ٦/ ٦٨٥": وهذا الحديث عظيم يدل على أن طلب العلم أفضل الأعمال، وأنه لا يبلغ أحدٌ رتبة العلماء وأن رتبتهم ثانية عن رتبة الأنبياء. اهـ.

خطورة التكاسل عن العلم:

مع ما مر بنا من فضل العلم وأهله إلا أنك تجد صنفا من الناس قد هبطت همته عن طلب العلم، وسفلت إرادته، وبردت عزيمته، واستحكم منه الكسل، وغليت عليه البطالة فلا يستوي هذا الصنف مع من شرح الله صدره للعلم فعمل به وعلمه، وهذا عين الشقاء والحرمان من لذة التعليم في الدارين، **وقد مر بنا قول ابن القيم –رحمه الله– كما في كتابه مفتاح دار السعادة :٣٧٣/١** ":" أعظم الأسباب التي يُحرم بها العبد خير الدنيا والآخرة، ولذَّة النعيم في الدارين، ويدخل عليه عدوه منها هو الغفلة المضادة للعلم، والكسل المضاد للإرادة والعزيمة، هذان أصلُ بلاء العبد وحرمانه منازل السعداء، وهما من عدم العلم. اهـ.

قال تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ (الأنعام: ١٢٢)

وهذا العلم لا ينال بالكسل والراحة، إنما ينال بالجهد والجد والاجتهاد:

يقول ابن القيم –رحمه الله– كما في" مفتاح دار السعادة: ١/ ١٤٢":

ولا ينال العلم إلا بهجر اللذات، وتطليق الراحة، قال يحيى بن أبي كثير –رحمه الله– لا ينال العلم براحة الجسم، وقال إبراهيم الحربي: أجمع عقلاء كل أمة أن النعيم لا يدرك بالنعيم، ومن آثر الراحة فاتته الراحة، فما لصاحب اللذات وما لدرجة وراثة الأنبياء. اهـ.

وقال أيضًا –رحمه الله– كما في نفس المصدر: ١/ ٣٦٢:

وإنما رغب أكثر الخلق عن اكتساب هذه السعادة وتحصيلها **(**يعنى سعادة ولذة طلب العلم**)**، لأنها لا تُنال إلا على جسر من التعب وأنها لا تحصل إلا بالجد المحض.

وكما قيل:

قل لمرجِّى معالي الأمور   بغير اجتهاد رجوت المحالا

فمن طمحت همته في الأمور العالية فواجب عليه أن يسد على محبته الطرق الدنية، فالمكارم منوطة بالمكاره، والسعادة لا يعبر إليها إلا على جسر المشقة، فلا تقطع مسافتها إلا في سفينة الجد والاجتهاد". . اهـ. باختصار وتصرف.

ويقول ابن الجوزي –رحمه الله– كما في" كتاب علو الهمة ص١٤٢":

" العلم لما كان أشرف الأشياء، لم يحصل إلا بالتعب والسهر والتكرار، وهجر اللذات والراحة، حتى قال بعض الفقهاء: بقيت سنينا أشتهى الهريسة لا أقدر، لأن وقت بيعها وقت سماع الدرس ". اهـ.

فلا يتحصل على هذا العلم بكسل وفتور وإنما يتحصل عليه بهمة عالية وعزم أكيد ونية صادقة.

وتكاسل الناس عن طلب العلم يؤدى إلى اندثار معالم الدين، والضلال المبين.

فقد أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:

" إنَّ اللهَ لا يقبضُ العلمَ انتزاعًا ينتزعُهُ منَ النَّاسِ، ولَكن يقبضُ العلمَ بقبضِ العُلماءِ، حتَّى إذا لم يترُك عالمًا اتَّخذَ النَّاسُ رؤوسًا جُهَّالًا، فسُئلوا فأفتوا بغيرِ عِلمٍ فضلُّوا وأضلُّوا ".

فعلينا جميعا نبذ الكسل والفتور، والإقبال على ما به سعادتنا، وهو طلب العلم الشرعي تعلمًا وتعليمًا بدون توانٍ ولا تردد ولا فتور. ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (البقرة:١٠٥)

تنبيه:

ليس طلب العلم هو المقصد في ذاته، إنما هو وسيلة لتصحيح الاعتقاد والعبادة، فالذي يتعلم ولا يعمل ليس بصادق النية، وهو على خطر كبير.

يقول الذهبي -رحمه الله-:" إن رأيت الطالب مجدًّا في طلب العلم، ولاحظ له في القربات، فهذا كسلان مهين، وليس هو بصادق في حسن نيته ". اهـ.

٢- ومن صور التكاسل: التكاسل عن العبادة:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في" كتابه العبودية ص٢٣":

" والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ". اهـ.

والعبادة كما قال ابن القيم -رحمه الله- كما في" مدارج السالكين ١/٨٥":

" تجمع أصلين غاية الحب، وغاية الذل والخضوع ". اهـ.

وهي الغاية التي خلقنا من أجلها. **قال تعالى:** ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٦٥) ولم يأمر الله تعالى المكلفين بعبادته ثم تركهم هملًا، بل أرسل إليهم الرسل مبشرين ومنذرين، وأنزل إليهم كتبه، ووضح لهم الطريق إليه، بما يضمن لهم السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة، فمن حقق العبودية لله، فقد أفلح وفاز، ومن لا. فقد خاب وخسر.

- يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- كما في" كتابه العبودية: ص٩١":

" كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله، وكلما ازداد تحقيقًا للعبودية ازداد كماله، وعلت درجته ومن توهم أن المخلوق يخرج عن عبوديته بوجه من الوجوه، أو أن الخروج عنها أكمل فهو من أجهل الخلق وأضلهم ". اهـ.

فتحقيق العبودية لله هي أساس كمال العبد ورفعته وحريته من رق الهوى والشيطان فإن الشيطان قد آلى على نفسه أن يسترق ويستتبع ذرية آدم خلفه إلى النار، ولا يستثنى من هذه التبعية إلا من حقق العبودية لله، **قال تعالى:** ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (الحجر: ٤٢)

وقال الشيطان الرجيم لرب العالمين: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾

(سورة ص:٨٢،٨٣)

فالشيطان وأعوانه، وهوى النفس، والشهوات، والدنيا، حجر عثرة في طريق سير العباد إلى الله تعالى، وما أكثر قطاع الطريق إلى الله تعالى، فمن الناس من يواصل السير إلى الله بقوة وعزم ونشاط، ومن الناس من يكسل عن العمل أو يقعد عنه بالكلية وهذا يتنافى مع الأوامر بالمسارعة والمسابقة، والقوة والاجتهاد في الطاعات والعبادات.

يقول ابن عباس -رضي الله عنهما-:

" **لكل شيء آفة، وآفة العلم النسيان، وآفة العبادة الكسل** ". (قوت القلوب لأبي طاهر المكي)

ومن مظاهر الكسل في العبادة (على سبيل المثال في الصلاة)

أ- تأخير الصلاة حتى يخرج وقتها:

وقد توعد الله تعالى من يفعل ذلك بقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ (الماعون: ٤،٥)

وقد أخرج ابن جرير الطبري عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص-رضى الله عنهما- قال:

قلت لأبي، أرأيت قول الله- عزّ وجلّ-: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾: أهو ما يحدّث به أحدنا نفسه في صلاته؟ قال: لا ولكن السهو أن يؤخّرها عن وقتها.

ب -عدم المبادرة لحضور الجماعة في أول وقتها:

***وقد جاء في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أنَّ النَّبيَّ ﷺ رأى في أصحابِه تأخُّرًا فقال:* " تقدَّموا فأتمُّوا بي ، وليأتمَّ بكم مَن بعدَكم ، ولا يزالُ قومٌ يتأخرونَ حتَّى يُؤخِّرَهم اللهُ عزَّ وجلَّ ".**

قال النووي -رحمه الله- كما في" شرحه على مسلم: ٤/ ٤٠٣": يتأخرون: أي عن الصفوف الأول، حتى يؤخرهم الله عن رحمته وعظيم فضله ورفع المنزلة، وعن العلم، ونحو ذلك ". اهـ.

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- كما في" شرح رياض الصالحين ٣/ ٢٧٦":

والإنسان كلما تأخر عن الصف الأول أو الثاني أو الثالث ألقى الله في قلبه محبة التأخر في كل عمل صالح، والعياذ بالله.

جـ- ترك صلاة الجماعة في المسجد، وقد توعد النبي ﷺ من يفعل ذلك:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: **" والذي نَفْسِي بيَدِهِ لقَدْ هَمَمْتُ أنْ آمُرَ بحَطَبٍ، فيُحْطَبَ، ثُمَّ آمُرَ بالصَّلاَةِ، فيُؤَذَّنَ لَهَا، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيَؤُمَّ النَّاسَ، ثُمَّ أُخَالِفَ إلى رِجَالٍ، فَأُحَرِّقَ عليهم بُيُوتَهُمْ، والذي نَفْسِي بيَدِهِ لو يَعْلَمُ أحَدُهُمْ، أنَّه يَجِدُ عَرْقًا سَمِينًا، أوْ مِرْمَاتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ، لَشَهِدَ العِشَاءَ ".**

د- ترك الجمع، وهذا فيه وعيد شديد:

فقد أخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهم- أنَّهُما سَمِعا رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ علَى أعْوادِ مِنْبَرِهِ: **" لَيَنْتَهِينَّ أقْوامٌ عن ودْعِهِمُ الجُمُعاتِ، أوْ لَيَخْتِمَنَّ اللَّهُ علَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكونُنَّ مِنَ الغافِلِينَ ".**

وأخرج أبو داود والترمذي عن أبي الجعد الضَّمري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: **" مَن ترَكَ ثلاثَ جُمعٍ تَهاونًا بها[1] ، طبعَ اللَّهُ على قلبِهِ ".**

فالجُمُعةُ شَأنُها عَظيمٌ في الإسْلامِ، وقدْ أوجَبَ اللهُ تعالَى على الرِّجالِ المُقيمينَ الخُروجَ إليها إذا أذَّنَ المؤذِّنُ داعيًا إليها، وحضَّهُم على شُهودِها، وحذَّرَ مِنَ تَركِها والتَّخلُّفِ عنها؛ تَهاوُنًا وتكاسُلًا مِن غَيرِ عُذرٍ فإنَّ اللهَ يَختِمُ علَى قُلوبِهِم؛ بأنْ يَطبَعَ عَليها ويُغطِّيَها، ويَمنعَها لُطفَه وفَضلَهُ، ويَجعَلَ فيها الجهْلَ والجَفاءَ والقَسوةَ، " **ثُمَّ لَيَكونُنَّ مِنَ الغافِلينَ**" عنِ اكْتِسابِ ما يَنفَعُهم منَ الأعْمالِ، وعن تَركِ ما يَضرُّهم منها، فيكونونَ من جُملةِ مَنِ استَوْلَتْ عليهمُ الغَفلةُ، ونَسُوا اللهَ، فنَسِيَهم. وهذا مِن أعظَمِ الزَّواجِرِ عن تَركِ الجُمُعةِ، والتَّساهُلِ فيها.

هـ- ترك النوافل والاهتمام بالفرائض فقط:

وهذا يدل على عدم علو الهمة، وزهد في الخير، ومن المعلوم أن النوافل تجبر النقص الذي ربما يقع في الفرائض بالإضافة إلى أنها سبيل لمحبة الله تعالى

فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **" إنَّ اللَّهَ قالَ: مَن عادَى لي وَلِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشَيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ...".**

أحبتي في الله... هل سمعتم عن أحد يقول: أنا سئمت من كثرة الأموال وزيادة الأرباح؛ فلماذا الناس عن عمل الآخرة يكسلون، وعن ثوابها يزهدون، وعن زيادة الأجر قاعدون؟

١- علق السعدي- رحمه الله - على هذا الحديث فقال: والتهاون هنا قلة الاهتمام بأمرها (الجمعة) وليس الاستخفاف بها، لان الاستخفاف بفرائض الله كفر". (انظر الدر المنثور للسيوطي ٦/ ١٤٨)

و- النشاط في النوافل والمستحبات، والكسل عن الفرائض والواجبات:

فنجد أن البعض يقيم الليل كله ثم ينام عن صلاة الفجر، ومن المعلوم أن من صلى الفجر في جماعة كأنما قام الليل كله، وركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها؛ كما أخبر بهذا الحبيب النبي ﷺ وهناك كذلك من يهتم بصدقة التطوع ويقصر في النفقة الواجبة أو الزكاة المفروضة، وهذا كله من التناقض العجيب، وهذا كحال من يبنى قصرًا ويهدمُ مصرًا.

يقول الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- كما في" شرح رياض الصالحين ٢/ ١١٣":

" وهذا خلاف الشرع وخلاف الحكمة، فهو سفه في العقل، وضلال في الشرع، والواجب على المسلم أن يبدأ بالواجب الذي هو محتم عليه، ثم بعد ذلك يفعل ما أراد من التطوع ". اهـ.

- أما الكسل في باقي العبادات فحدث ولا حرج فهناك من لا يذهب للحج أو العمرة مع قدرته الجسدية والمالية وبالنسبة للصيام الواجب ينام طوال النهار حتى لا يشعر بمشقة ولا تعب وفي صيام الكفارة الذي هو على سبيل الترتيب يقدم دائما الإطعام، وكذا في كفارة الظهار، وكفارة من جامع في نهار رمضان، وكل هذه نتيجة هروبه من الصيام وكسله عن الطاعات.

تنبيه:

مر بنا أن الكسل في العبادات أمر مذموم، والإفراط فيها أيضًا أمر مذموم. فدين الله بين الغالي فيه والجافي، وبين الإفراط والتفريط، وهذان طرفان كلاهما بلاء وشر، وكلاهما خلاف الحق والصواب والسنة.

ودليل ذلك ما أخرجه الشيخان عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: " **أُخْبِرَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ أنِّي أقُولُ: واللَّهِ لَأَصُومَنَّ النَّهارَ، ولَأَقُومَنَّ اللَّيْلَ ما عِشْتُ فَقالَ له رَسولُ اللَّهِ ﷺ: أنْتَ الذي تَقُولُ واللَّهِ لَأَصُومَنَّ النَّهارَ ولَأَقُومَنَّ اللَّيْلَ ما عِشْتُ قُلتُ: قدْ قُلتُهُ قالَ: إنَّكَ لا تَسْتَطِيعُ ذلكَ، فَصُمْ وأَفْطِرْ، وقُمْ ونَمْ، وصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلاثَةَ أيَّامٍ، فإنَّ الحَسَنَةَ بعَشْرِ أمْثالِهَا، وذلكَ مِثْلُ صِيامِ الدَّهْرِ فَقُلتُ: إنِّي أُطِيقُ أفْضَلَ مِن ذلكَ يا رَسولَ اللَّهِ، قالَ: فَصُمْ يَوْمًا وأَفْطِرْ يومَيْنِ قالَ: قُلتُ: إنِّي أُطِيقُ أفْضَلَ مِن ذلكَ، قالَ: فَصُمْ يَوْمًا وأَفْطِرْ يَوْمًا، وذلكَ صِيامُ دَاوُدَ وهو أعْدَلُ الصِّيَامِ قُلتُ إنِّي أُطِيقُ أفْضَلَ منه يا رَسولَ اللَّهِ، قالَ: لا أفْضَلَ مِن ذلكَ** ".

مع أن الصيام عبادة وخير، لكن لما كان خلاف السنة، كان عديم الفضل.

وفي الصحيحين أيضًا عن أنس بن مالك ﷺ قال : " **جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إلى بُيُوتِ أزْوَاجِ النَّبيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عن عِبَادَةِ النَّبيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فقالوا: وأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبيِّ ﷺ ؟! قدْ غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ، قالَ أحَدُهُمْ: أمَّا أنَا فإنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أبَدًا، وقالَ آخَرُ: أنَا أصُومُ الدَّهْرَ ولَا أُفْطِرُ، وقالَ آخَرُ: أنَا أعْتَزِلُ النِّسَاءَ فلا أتَزَوَّجُ أبَدًا، فَجَاءَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ إليهم، فَقالَ: أنْتُمُ الَّذِينَ قُلتُمْ كَذَا وكَذَا؟! أَمَا واللَّهِ إنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وأَتْقَاكُمْ له، لَكِنِّي أصُومُ وأُفْطِرُ، وأُصَلِّي وأَرْقُدُ، وأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فمَن رَغِبَ عن سُنَّتي فليسَ مِنِّي** ".

وفي الصحيحين أيضًا من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، ولَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أحَدٌ إلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وقَارِبُوا، وأَبْشِرُوا، واسْتَعِينُوا بالغَدْوَةِ والرَّوْحَةِ وشيءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ**[1] ".

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : " **هلك المتنطعون** ". **قالها ثلاثًا.**

قال النووي-رحمه الله- كما في" رياض الصالحين": " **المتنطعون**": أي المتعمقون المشددون في غير موضع التشديد". اهـ.

فالكسل المذموم يقابله الغلو المذموم، وهو: مجاوزة الحد المشروع، والوسط الإقبال على الطاعة بجد ونشاط وانشراح صدر.

وقد أخرج البخاري ومسلم وابن حبان واللفظ له عن أنس ﷺ قال:" **دخَل رسولُ اللهِ ﷺ المسجدَ وحبلٌ ممدودٌ بينَ ساريتَيْنِ فقال:" ما هذا ؟ قالوا: لزينبَ تُصلِّي فإذا كسِلَتْ أو فترَتْ أمسكت به قال:" حُلُّوه، ثمَّ قال:" لِيُصَلِّ أحدُكم نشاطَه فإذا كسِل أو فتَرَ فليقعُدْ** ".

ويلحق بهذا سائر العبادات وهو أنه ينبغي للإنسان أن يقبل على الطاعة وقت نشاطه، فإن فتر أو كسل ترك إلى وقت نشاطه (وهذا في النوافل، لأن الفرض لا يُؤخر أو يُترك). فالعبد لا يتلذذ بالعبادة حال فتوره وربما أضر بنفسه من حيث يريد نفعها.

ففي الصحيحين عن عائشة -رضي الله عنها- أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ:" **إذَا نَعَسَ أحَدُكُمْ وهو يُصَلِّي فَلْيَرْقُدْ، حتَّى يَذْهَبَ عنْه النَّوْمُ، فإنَّ أحَدَكُمْ إذَا صَلَّى وهو نَاعِسٌ، لا يَدْرِي لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ** ".

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: " **إذا قامَ أحدُكم منَ اللَّيلِ فاستعجمَ**[2] **القرآنُ على لسانِهِ فلم يدرِ ما يقولُ فليضطجع** ".

١- أي استعينوا على مداومة العبادة بإيقاعها في الأوقات المنشطة كأول النهار، وبعد الزوال، وآخر الليل.
٢- قال القرطبي في" المفهم:٢/٤١٦": أي صارت قراءته كالعجمية لاختلاف حروف النائم وعدم بيانها.

وقد شرع للعبد استدراك بعض ما يفوته من العبادات وقت فتوره أو شغله أو نومه:

وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **" مَن نامَ عن حِزْبِهِ، أوْ عن شَيءٍ منه، فَقَرَأَهُ فِيما بيْنَ صَلاةِ الفَجْرِ وصَلاةِ الظُّهْرِ؛ كُتِبَ له كَأنَّما قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ ".**

وفي صحيح مسلم عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: **" كانَ رَسولُ اللهِ ﷺ إذَا عَمِلَ عَمَلًا أَثْبَتَهُ، وَكانَ إذَا نَامَ مِنَ اللَّيْلِ، أَوْ مَرِضَ، صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً ".**

ولما شغل رسول الله ﷺ عن ركعتي الظهر صلاهما بعد العصر، ***وهو كما قال ﷺ في صحيح مسلم:***

"... إنَّهُ أتاني ناسٌ من عبدِ القيسِ بالإسلامِ من قومِهم فشغلوني عنِ الرَّكعتينِ اللَّتينِ بعدَ الظُّهرِ فَهما هاتانِ ".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- كما في" الفتاوى الكبرى ٢/ ١٢٦": " واستحب الأئمة أن يكون للرجل عدد من الركعات يقوم بها من الليل لا يتركها، فإن نشط أطالها، وإن كسل خففها، وإذا نام عنها صلى بدلها من النهار كما كان النبي ﷺ إذا نام عن صلاة الليل صلى في النهار اثنتي عشرة ركعة ".

٣- ومن صور التكاسل: التكاسل عن الدعوة إلى اللّه تعالى:

والدعوة إلى الله هي وظيفة الأنبياء والرسل، **قال الله تعالى عن أول رسول في الأرض- وهو نوح عليه السلام -:** ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ (نوح: ٥)

وكل رسول يأتي إلى قومه فيقول لهم: ﴿ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (هود: ٢٥)

فالله تعالى أرسل في كل أمة رسول لدعوة الناس، ولإقامة الحجة عليهم

قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (فاطر:٢٤)

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (النحل: ٦٣)

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال في حديث له:"... **إنه لم يَكُنْ نبيٌّ قبلي إلا كان حقًّا عليه، أن يدلَ أمتَه على خير ما يَعْلَمَه لهم، ويُنْذِرَهم شر ما يَعْلَمُه لهم ".**

فقاموا -عليهم الصلاة والسلام- بما كلفوا به خير قيام، وبذلوا أنفسهم لله تعالى، وبلّغوا ما أمروا به وصبروا على ما أصابهم، فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

وكان للنبي ﷺ المقام الأعلى في الدعوة إلى الله تعالى فإنه مبعوث إلى الناس كافة **كما قال تعالى:**

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (سبأ:٢٨)

والدعوة ليست مقصورة على الأنبياء والرسل فقط بل يشاركهم في هذا غيرهم

فها هو مؤمن آل فرعون يقول: ﴿ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴾ (غافر: ٤١)

وقال عن المؤمن المذكور في سورة يس: ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ (يس:٢٠)

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (يوسف: ١٠٨)

يقول ابن القيم- رحمه الله-:

" ولا يكون من أتباع الرسول علي الحقيقة إلا من دعا إلى الله على بصيرة كما جاء في الآية وقوله (**أَدْعُو إِلَى اللَّهِ**) تفسير لسبيله التي هو عليها، فسبيله وسبيل أتباعه: الدعوة إلى الله، فمن لم يدع إلى الله فليس على سبيله". اهـ.

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يدعون أقوامهم أفرادًا وجماعات، ومنهم من يبعثه النبي ﷺ لذلك.

كما في الصحيحين من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لعلي رضي الله عنه حين بعثه إلى يهود:

"... انْفُذْ علَى رِسْلِكَ حتَّى تَنْزِلَ بساحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إلى الإسْلَامِ، وأَخْبِرْهُمْ بما يَجِبُ عليهم مِن حَقِّ اللَّهِ فِيهِ؛ فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بكَ رَجُلًا واحِدًا، خَيْرٌ لكَ مِن أنْ يَكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَمِ ".

وكذا فعل النبي ﷺ مع معاذ لما أرسله إلى اليمن والحديث في الصحيحين.

وإنه لشرف عظيم لكل داعية إلى الله- تعالى- حيث اصطفاه الله من دون خلقه ليحمل رسالته، وينال شرف الاتباع – اتباع نبيه ﷺ واقتفاء أثره – وكفي بهذا شرفًا، لو لم يكن في هذا إلا أنه يُحشر تحت لوائه لكفى.

والدعوة إلى الله واجبة:

قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٤)

وفي صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال:

" بَلِّغُوا عَنِّي ولو آيَةً ".

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود عن ابن عباس- رضى الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:

" تسمعونَ ويُسمعُ منكم ويُسمعُ ممن يَسمعُ منكم ".

وهو خبر بمعنى الأمر أي لتسمعوا منى الحديث وتبلغوه عنى وليسمعه من بعدى منكم من بعدكم، وكذا من بعدهم وهلم جرا، وبذلك يظهر العلم وينتشر ويحصل التبليغ وهذا هو الميثاق المأخوذ على العلماء **كما قال تعالى:** ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ (آل عمران: ١٨٧)

وكان النبي ﷺ إذا خطب قال: **" لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ منكمُ الغائبَ؛ فلَعَلَّ الغائبَ أنْ يَكونَ أوعى له مِنَ الشَّاهِدِ ".** (رواه البخاري ومسلم وأحمد واللفظ له)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية كما في" مجموع الفتاوى: ١٥/ ١٦٥":

فالدعوة إلى الله واجبة على من اتبعه وهم أمته يدعون إلى الله كما دعا إلى الله وهي فرض كفاية إذا قام به طائفة منهم سقط عن الباقين، فالأمة كلها مخاطبة بفعل ذلك ولكن إذا قامت به طائفة سقط عن الباقين " قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤)

فضل الدعوة إلى الله تعالى:

مما لا شك فيه أن الدعوة إلى الله من أفضل الأعمال التي يتقرب بها الإنسان إلى الله تعالى كيف لا وهي عمل الأنبياء والمرسلين. **قال رب العالمين في كتابه الكريم:** ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت: ٣٣)

فلا أحد أفضل ولا أحسن قولا من هؤلاء الدعاة إلى الله تعالى وعلى رأسهم الأنبياء والرسل عليهم السلام.

يقول ابن القيم -رحمه الله-:

" فمقام الدعوة إلى الله أفضل مقامات العبد؛ ***ومما يدل على فضل الدعوة إلى الله ما أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:*** **" مَن دعا إلى هُدًى كان له مِن الأجرِ مِثْلُ أجورِ مَن تبِعهُ لا ينقُصُ ذلك مِن أجورِهم شيئًا، ومَن دعا إلى ضلالةٍ كان عليه مِن الإثمِ مِثْلُ آثامِ مَن تبِعهُ لا ينقُصُ ذلك مِن آثامِهم شيئًا ".**

وفي صحيح مسلم أيضًا عن أبي مسعود عقبة بن عمرو ﷺ عن النبي ﷺ قال: **" من دلَّ على خيرٍ فله مثلُ أجرِ فاعلِه ".**

والدعوة إلى الله جهاد عظيم، والداعي مجاهد.

قال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان: ٥٢)

يقول ابن القيم -رحمه الله- كما في" زاد المعاد: ٣/ ٥٨":

" ولا ريب أن الأمر بالجهاد المطلق إنما كان بعد الهجرة فأما جهاد الحجة، فأمر به في مكة بقوله (وَجَاهِدْهُم بِهِ) أي بالقرآن (جِهَادًا كَبِيرًا) فهذه سورة مكية والجهاد فيها هو التبليغ وجهاد الحجة ".

ويقول ابن القيم أيضًا كما" في جلاء الأفهام: ١/ ٤١٥":

وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو لأن ذلك يفعله الكثير من الناس، وأما تبليغ السفن فلا تقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه". اهـ.

- لكن الدعوة إلى الله طريق ليس مفروشًا بالورود، أو طريق ممهدًا سهلا، بل فيه معوقات وصعوبات وشدائد، ومشقة وتعب بل ربما يحصل للداعي إلى الله أذى في عِرْضه أو بدنه أو ماله وغير ذلك، مما يجعل البعض يكسل أو يترك الدعوة إلى الله.

وعلاج هذا الكسل أو الفتور عن الدعوة إلى الله: أن يستعرض الداعي إلى الله سير الدعاة إلى الله قبله من الأنبياء وأتباعهم وما كانوا من أقوامهم، وما واجهوا من الصعوبات والشدائد، وأن يصبر على ما يلقى في سبيل الله، **قال تعالى:**

﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر: ١-٣).

وقال تعالى حاكيا عن وصية لقمان لابنه:

﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان:١٧)

وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ (المزمل:١٠)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- كما في" مجموع الفتاوى: ١٨ / ٢٨٤":

وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النحل: ١١٠) يدخل في معناها كل من فتنه الشيطان عن دينه، أو أوقعه في معصية: ثم هجر السيئات، وجاهد نفسه وغيرها من العدو، وجاهد المنافقين بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وغير ذلك وصبر على ما أصابه من قول أو فعل والله سبحانه وتعالى أعلم".

وفي البخاري ومسلم عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: " **كَأَنِّي أَنْظُرُ إلى النَّبيِّ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأنْبِياءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فأدْمَوْهُ، وهو يَمْسَحُ الدَّمَ عن وجْهِهِ ويقولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فإنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ** ".

فعلى الداعية أن يَحْلم ويعفو ويصفح ويصبر على ما يلقى، ويعينه على ذلك معرفة طبيعة الطريق الذي يسلك، وفضل الدعوة إلى الله تعالى، ومما يعين الداعية على المضي والسعي في الدعوة أنه يرى أهل الباطل يصبرون على باطلهم ويبذلون النفس والنفيس في سبيل ذلك، افيتاكسل صاحب الحق عن الدعوة إلى الحق؟

ومما يعين أيضًا على ترك الكسل والفتور عن الدعوة إلى الله: معرفة شؤم وعقوبة من تكاسل عن الدعوة إلى الله وأعرض عنها مع القدرة عليها.

فقد أخرج الترمذي وغيره من حديث الحارث الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال: **" إنَّ اللهَ أوحَى إلى يحيَى ابنِ زكريَّا بخمسِ كلماتٍ أن يعملَ بهنَّ ويأمرَ بني إسرائيلَ أن يعملوا بهنَّ فكأنَّه أبطأ بهنَّ فأتاه عيسَى فقال: إنَّ اللهَ أمرك بخمسِ كلماتٍ أن تعملَ بهنَّ وتأمرَ بني إسرائيلَ أن يعملوا بهنَّ فإمَّا أن تُخبرَهم وإمَّا أن أخبرَهم فقال: يا أخي لا تفعلْ فإنِّي أخافُ إن سبقتَني بهنَّ أن يُخسَفَ بي أو أعذَّبَ قال فجمع بني إسرائيلَ ببيتِ المقدسِ حتَّى امتلأ المسجدُ وقعَدوا على الشُّرفاتِ ثمَّ خطبهم فقال إنَّ اللهَ أوحَى إليَّ بخمسِ كلماتٍ أن أعملَ بهنَّ وآمرَ بني إسرائيلَ أن يعملوا بهنَّ..".**

والشاهد من الحديث قول يحيى: **" فإنِّي أخافُ إن سبقتَني بهنَّ أن يُخسَفَ بي أو أعذَّبَ "** فخاف من التكاسل في إبلاغ ما أمر به، بل جعله سببا للعذاب والخسف مما حمله على المبادرة والاجتهاد.

وأخرج البخاري في كتابه "خلق أفعال العباد" من حديث أبي الأحوص عوف بن مالك الجشمي عن أبيه قال: **أتيت النبي ﷺ - فذكر القصة- وفيها أن النبي ﷺ قال:" أتتني رسالة من ربي فضقت بها ذرعا ورأيت أن الناس سيكذبونني فقيل لي لتفعلن أو ليفعلن بك ".**

(وأصله في السنن، وصححه ابن حبان والحاكم)

٤- ومن صور التكاسل: التثاقل عن الجهاد:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ (التوبة: ٣٨)

في هذه الآية عتاب من الله تعالى واستحثاث لأهل الإيمان الذين عندهم من دواعي التصديق واليقين ما ينبغي معه المبادرة إلى أوامر الله، والمسارعة إلى مرضاته، وجهاد أعدائه، فقال الله – بعد أن ناداهم بالإيمان– إذا كنتم كذلك (مَا لَكُمْ) أي تكاسلتم وملتم إلى الأرض والدعة والراحة، فما حالكم إلا كحالة من رضى بالدنيا وشغف بها، ولم يبال بالآخرة " (انظر تيسير الكريم ص٥٣٢)

قال ابن كثير –رحمه الله– في" تفسيره: ٢/ ٤٨٧":

" هذا شروع في عتاب من تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، حين طابت الثمار والظلال في شدة الحر وحَمَارَّة القيظ فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ) أي: إذا دعيتم إلى الجهاد في سبيل الله (اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ) أي: تكاسلتم وملتم إلى المقام في الدعة والخفض وطيب الثمار". اهـ.

ويقول الألوسي –رحمه الله– في" تفسيره روح المعاني: ٩٥/١٠ عند الآية السابقة ":

" أي أثاقلتم مائلين إلى الدنيا وشهواتها الفانية عما قليل، وكرهتم مشاقَّ الجهاد ومتاعبه المستتبعة للراحة، والحياة الباقية ". اهـ.

وقال ابن القيم –رحمه الله– كما في" الضوء المنير: ٣/ ٣٥٥ ":

" عيَّر الله سبحانه من رضى بالدنيا من المؤمنين، وعلى قدر رغبة العبد في الدنيا ورضاه بها: يكون تثاقله عن طاعة الله وطلب الآخرة ". اهـ.

ولذلك قال بعدها: ﴿انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (التوبة: ٤١)

٥- ومن صور التكاسل: سؤال الناس والتثاقل عن طلب الرزق:

فقد أخرج أبو داود والترمذي عن أنس بن مالك ﷺ أنَّ رجلًا منَ الأنصارِ أتى النَّبيَّ ﷺ يسألُهُ فقال:
" أما في بيتِكَ شيءٌ. قال: بلى حِلسٌ نلبسُ بعضَهُ ونبسُطُ بعضَهُ وقَعبٌ نشربُ فيهِ منَ الماءِ. قال:" ائتني بِهِما ". قال: فأتاهُ بِهما فأخذَهُما رسولُ اللَّهِ ﷺ بيدِهِ وقال:" من يشتري هذَين؟" قالَ رجلٌ: أَنا آخذُهُما بدِرهمٍ. قال:" من يزيدُ على درهمٍ؟" مرَّتينِ أو ثلاثًا قالَ رجلٌ: أَنا آخذُهُما بدِرهَمين. فأعطاهما إيَّاهُ وأخذَ الدِّرهمينِ وأعطاهما الأنصاريَّ وقال:" اشترِ بأحدِهِما طعامًا فانبذهُ إلى أَهْلِكَ واشترِ بالآخرِ قدومًا فأتني بِهِ". فأتاهُ بِهِ فشدَّ فيهِ رسولُ اللَّهِ ﷺ عودًا بيدِهِ ثمَّ قالَ لَهُ:" اذهب فاحتطِب وبع ولَا أرينَّكَ خمسةَ عشرَ يومًا". فذَهبَ الرَّجلُ يحتطِبُ ويبيعُ فجاءَ وقد أصابَ عشرةَ دراهمَ فاشترى ببعضِها ثوبًا وببعضِها طعامًا. فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ:" هذا خيرٌ لَكَ من أن تجيءَ المسألةُ نُكْتةً في وجهِكَ يومَ القيامةِ إنَّ المسألةَ لَا تصلحُ إلَّا لثلاثةٍ لذي فَقرٍ مدقعٍ أو لذي غُرمٍ مُفظعٍ أو لذي دمٍ موجعٍ ".
(ضعفه الألباني في ضعيف أبي داود ١٦٤١)

وفي رواية عند البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
" لَأَنْ يَغْدُوَ أحَدُكم فَيَحْتَطِبَ على ظَهرِه، فيَتَصَدَّقَ مِنهُ، ويَسْتَغْنِي به عنِ النَّاسِ، خَيرٌ له من أنْ يَسأَلَ رَجُلًا، أعطاهُ أو مَنَعهُ، ذَلكَ بِأنَّ اليَدَ العُلْيَا، أفضَلُ من اليدِ السُّفْلَى، وابْدأْ بِمنْ تَعُولُ ".

وعند البخاري أيضًا من حديث الزبير بن العوام ﷺ عن النبي ﷺ قال:" لأنْ يأخذَ أحدُكم حبلَهُ على ظهْرِهِ فيأتي بحزمةٍ منَ الحطبِ فيبيعُها فيكُفَّ اللهُ بها وجهَهُ خيرٌ مِنْ أنْ يسألَ الناسَ أعطوْهُ أوْ منعوهُ ".

وفي سنن أبي داود ومستدرك الحاكم وصحيح ابن حبان عن مالك بن نضلة الجشمي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" الأيدي ثلاثةٌ فيدُ اللهِ العليا ويدُ المُعطي الَّتي تليها ويدُ السُّفلى السَّائلةُ فأعطِ الفضلَ ولا تعجِزْ عن نفسِك ". (صحيح ابن حبان: ٣٣٦٢)

يقول عمر بن الخطاب ﷺ:" إني لأرى الرجل فيعجبني فأقول: هل له حرفة؟ فإن قالوا: لا. سقط من عيني ". (المجالسة وجواهر العلم ص٦٤١)

تحذير

فليحذر كل من يسأل الناس وهو قادر على الاكتساب.

فقد أخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:

" لا تَزَالُ المسأَلَةُ بأحدِكُم حتَّى يَلقى اللَّهَ وليسَت في وجهِهِ مُزعةُ [1] لَحمٍ ".

ومما سبق يتضح جليا النهى عن سؤال الناس مع القدرة على الاكتساب، لأن هذا مدعاة للكسل عن طلب الرزق، والسعي في الأرض.

وقد جاء في سنن أبي داود والنسائي عن عبيد الله بن عدي بن الخيار قال:

" أخبرَني رجلانِ أنَّهُما أتَيا النَّبيَّ ﷺ في حَجَّةِ الوَداعِ وَهوَ يُقسِّمُ الصَّدَقةَ فسألاهُ مِنها فرفَعَ فينا البصَرَ وخفَضَه فرآنا جَلدَينِ فقالَ: إنَّ شئتُما أعطيتُكما ولا حظَّ فيها لغنيٍّ ولا لقويٍّ مُكتسِبٍ ".

فالقوى القادر على الاكتساب، إذا تحصل على المال دون كلفة، وذلك عن طريق سؤال الناس اعتاد ذلك وقعد عن العمل، وإذا فعل غيره وغيره هكذا، كيف تتم عمارة الأرض؟ وقد حث الشرع الحكيم على العمل الطيب والسعي في الأرض للكسب الحلال لسد حاجة النفس والعيال، **قال تعالى:** ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك: ١٥)

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

(الجمعة: ١٠)

وقد مر بنا في الحديث: " لأنْ يأخذَ أحدُكم حبلَهُ على ظهْرِهِ فيأتي بحزمةٍ منَ الحطبِ فيبيعُها فيكُفَّ اللهُ بها وجهَهُ خيرٌ مِنْ أنْ يسألَ الناسَ أعطوْهُ أوْ منعوهُ ". (أخرجه البخاري عن الزبير بن العوام ﷺ).

١- المُزْعة: بضم الميم وإسكان الزاي وبالعين المهملة: القطعة.

٦- ومن صور التكاسل: التثاقل في المشي:

ذكر ابن القيم -رحمه الله- كما في زاد المعاد: ١/ ١٩٧ " فصل في هديه ﷺ في مشيه وحده ومع أصحابه فقال -رحمه الله-: كان ﷺ إذا مشى تكفأ تكفؤًا، وكان أسرع الناس مشية وأحسنها وأسكنها ".

قال أبو هريرة ﷺ: **" ما رأيْتُ شيئًا أحسنَ من رسولِ اللهِ ، كأنَّ الشمسَ تَجري في وجهِهِ ، وما رأيْتُ أحدًا أسرعَ في مِشيتِهِ من رسولِ اللهِ ، كأنَّما الأرضُ تُطوى لهُ، إنَّا لنُجهِدُ أنفسَنا وإنَّهُ لغيرُ مُكترِثٍ ".**

(ضعفه الألباني في مختصر الشمائل: ١٠٠)

وقد أخرج الإمام أحمد بسند فيه مقال عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال:

" أن رسول الله ﷺ كان إذا مشي مشي مجتمعًا ليس فيه كسل ".

وعند الإمام أحمد كذلك من حديث علي بن أبي طالب ﷺ قال: **" كان رسول الله ﷺ إذا مشى تكفَّأَ تكفُّؤًا كأنَّما انحطَّ من صبَبٍ "**. ***وقال مرة:*** **" إذا مشى تقلع ".**

قال ابن القيم-رحمه الله-: والتقلع: الارتفاع من الأرض بجملته كحال المنحط من الصبب وهي مشية أولى العزم والهمة والشجاعة وهي أعدل المشيات، وأروحها للأعضاء وأبعدها من مشية الهوج والمهانة والتماوت، فإن الماشي: إما أن يتماوت في مشيه ويمشي قطعة واحدة كأنه خشبة محمولة وهي مشية مذمومة قبيحة. وإما أن يمشى بانزعاج واضطراب مشى الجمل الأهوج وهي مشية مذمومة أيضًا، وهي دالة على خفة عقل صاحبها ولا سيما إن كان يكثر الالتفات حال مشيه يمينا وشمالا.

وإما أن يمشى هونا، وهي مشية عباد الرحمن كما وصفهم بها في كتابه **فقال:** **﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾** (الفرقان: ٦٣) قال غير واحد من السلف: بسكينة ووقار من غير تكبر ولا تماوت وهي مشية رسول الله ﷺ فإنه مع هذه المشية كان كأنما ينحط من صبب، وكأنما الأرض تطوى له حتى كان الماشي معه يجهد نفسه ورسول الله ﷺ غير مكترث، وهذا يدل على أمرين أن مشيته لم تكن: مشية بتماوت، ولا بمهانة، بل مشية أعدل المشيات". اهـ.

وقال الإمام أبو شامة -رحمه الله- كما في" الباعث على إنكار البدع والحوادث ص٢٤٥":

(فصل فيما ابتدع واستميلت به قلوب العوام) ومما ابتدع واستميلت قلوب الجهال والعوام بسببه: التماوت في المشي والكلام، حتى صار ذلك شعارا لمن يريد أن يظن فيه التنسك والتورع، فليعلم أن الدين خلاف ذلك وهو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه -رضي الله عنهم- ثم السلف الصالح، ففي أحاديث صفة النبي ﷺ وشمائله أنه كان إذا مشى ﷺ **" تقلع كأنما يمشى في صبب"** **وفي رواية:** **" كأنما ينحدر من صبب "**. **ثم قال أبو شامة -رحمه الله-:** المحمود من ذلك ترك العجلة المفرطة، وترك التكاسل والتثبط والتماوت ولكن بين ذلك ". اهـ.

أسباب الكسل

١- ترك الذكر والصلاة:

من المعلوم أن ملازمة ذكر الله تعالى يطرد الشيطان الذي هو: أعظم مصدر لكسل العبد، فإن القلب الذاكر قلب حي، صحيح الإرادة، قوى العزيمة، مقبل على الله تعالى، بقوة ونشاط، بخلاف القلب الغافل، فإن الشيطان يتسلط عليه ويعشعش فيه، ويملأه بالوساوس والنزغات، فيثبطه عن كل خير، ويبعده عن كل فضيلة، فإذا نادى نداء الإيمان بالعبد أن هلم إلى هذا الخير: أمره الشيطان أن يفغر فاه، وأن يغمض عينيه، وحبب إليه النوم وزينه إليه، وحينها يسيطر عليه الكسل والخمول والعياذ بالله وهذا ما أخبر به الحبيب النبي ﷺ.

فقد أخرج البخاري عن حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ علَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ[1] إذَا هو نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فَارْقُدْ فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فإنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فإنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فأصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وإلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ " .**

فالشيطان يستهدف العبد عند نومه فيبيت في خيشومه [2]، والإنسان في حال النوم أضعف ما يكون حيث انعدام الحركة وغياب الوعي، والغفلة عن الذكر، فيعقد الشيطان عقده الثلاث التي أخبر عنها النبي ﷺ في الحديث السابق، فإذا وثب العبد من فراشه للصلاة خنس الشيطان وانحلت عقدة، فيذهب عن العبد الكسل بمقدار ذلك، فإن وصل العبد يقظته وقام وتوضأ انحلت العقدة الثانية، وزاد نشاطاً إلى نشاطه، فإن وصل تفوقه على عدوه فصلى انحلت العقدة الثالثة والأخيرة، وبطل كيد الشيطان وباءت خطته بالفشل، ونجا العبد من فخوخه، وقام طيب النفس نشيطاً.

فالإنسان في حالة حرب يومية مع الشيطان، وهدف هذه الحرب تحطيم منابع القوة للإنسان، فيصبح يومه خبيث النفس كسلان، فعلى الإنسان أن يحسم هذه المعركة في أول ساعات النهار.

قال ابن القيم-رحمه الله- كما في" زاد المعاد: ٢٤٧/٤":

" ولا ريب أن الصلاة نفسها فيها من حفظ صحة البدن وإذابة أخلاطه وفضلاته ما هو من أنفع شيء له، سوى ما فيها من حفظ صحة الإيمان وسعادة الدنيا والآخرة، وكذلك قيام الليل من أنفع أسباب حفظ الصحة ومن أمنع الأمور لكثير من الأمراض المزمنة ومن أنشط شيء للبدن والروح والقلب كما في الحديث السابق ". اهـ.

١- قافية رأس أحدكم: أي مؤخرة الرأس.

٢- وفي الحديث: إذا استيقظ أحدكم من منامه فتوضأ فليستنثر ثلاثًا، فإن الشيطان يبيت في خيشومه". (السلسلة الصحيحة: ٣٩٦١) (صحيح الجامع: ٣٣٠)

فانظر كيف يعقد الشيطان على قافية النائم، وكلما أراد أن يقوم ليذكر الله ويصلى، غرَّه وخدعه بقوله: عليك ليل طويل فارقد، يريد أنه بقي عليه من الليل ما يمكنه من استيفاء راحته من النوم، ثم القيام فيصغى إليه ويرقد ولا يزال به مرة بعد مرة، حتى يطلع عليه الصبح.

قال القرطبي كما في" المفهم: ٢/٤٠٩":

" قوله ﷺ " **فأصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ** ": أي نشيطا لما يرد عليه من عبادات أُخر من صلوات وغيرها، فإنه يألف العبادات ويعتادها حتى تصير له شربًا، فتذهب عنه مشقتها، ولا يستغنى عنها.

وقوله ﷺ: " **كَسْلَانَ** " أي بشؤم تفريطه، وإتمام خديعة الشيطان عليه، إذ قد حمله على أن فاته الحظ الأوفر من قيام الليل،" **كسلان**" متثاقل عن الخيرات، فلا يكاد تسخو نفسه ولا تخف عليها صلاة ولا غيرها من القربات، وربما يحمله ذلك على تضييع الواجبات. اهـ.

بل إن المحافظة على العبادات والطاعات كلها سبب للقوة والنشاط وطرد الكسل، كما أن الضعف عن العبادة والتغافل عنها يؤدى إلى التكاسل عنها وتركها بالكلية، وهذا أمر معروف بالتجربة.

قال وهب بن منبه –رحمه الله-:

" من يتعبد يزدد قوة، ومن يتكسل يزدد فترة ". اهـ. (أخرجه أبو نعيم في الحلية: ٤/٥٨)

٢- ومن أسباب الكسل: مجالسة الكسالى:

من أعظم أسباب الكسل والتفريط: مجالسة الكسالى والمفرطين، فإن مجالستهم عمى للقلوب، ومرض يصيب الهمم فيوهنها، فاحذر من مصاحبه هؤلاء.

وقد قيل:

لا تصحب الكسلان في حاجاته ... كم صالح لفساد آخر يفسد

عدوى البليد إلى البليد سريعة ... والجمر يوضع في الرماد فيخمد

ومصاحبة أهل الهمم العالية دليل على علو همة ونشاط وقوة من يصاحبهم، فالصاحب مرآة تدل من يصاحبه؛ **وقد قيل**: قل لي من تصاحب، أقل لك من أنت.

وقد قال النبي ﷺ كما في سنن أبي داود وصححه الألباني: " **المرءُ على دينِ خليلِهِ، فلينظُر أحدُكُم مَن يخالِلُ** ".

فبين النبي ﷺ أن المرء مشاكل ومماثل لخليله وجليسه في الاستقامة والصلاح والنشاط أو عدمها.

قال الإمام مالك –رحمه الله–:

" الناس أشكال كأشكال الطير الحمام مع الحمام، والغراب مع الغراب، والبط مع البط، وكل إنسان مع شكله ".

ويقول الأوزاعي –رحمه الله–:

" الصاحب للصاحب كالرقعة للثوب، إذا لم تكن مثله شانته ".

وكان ابن مسعود ﷺ يقول:

" ما من شيء أدل على شيء، ولا الدخان على النار، من الصاحب على الصاحب ".

وصدق القائل حيث قال:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه   فكل قرين بالمُقارن يقتدى

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم   ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

وقال آخر:

فلا تصحب أخا الجهل   وإياك وإياه

فكم من جاهل أردى   حليمًا حين ماشاه

يقاس المرءُ بالمرءِ   إذا ما المرءُ ماشاه

فعلى الإنسان أن يصاحب ويجالس أصحاب الهمم العالية، حتى تعلو همته.

وصدق القائل حيث قال:

أنت بالناس تقاس   بالذي اخترت خليلًا

فاصحب الأخيار تعلو   وتنل ذكرًا جميلًا

صحبة الخامل تكسو   من يواخيه خمولًا

وحيث أن الصاحب ساحب فمصاحبة الكسلان تدل على دناءة وضعف همة من يصاحبه.

يقول ابن الجوزي–رحمه الله– كما في كتابه " صيد الخاطر ص٣٤٩": " فالعجب ممن يترخص في المخالطة وهو يعلم أن الطبع يسرق، وإنما ينبغي أن تقع المخالطة للأرفع والأعلى في العلم والعمل ليُستفاد منه، فأما مخالطة الدون فإنها تؤذي، إلا إذا كانت للتذكير والتأديب[1] " .اهـ.

١- يعني يصاحبه ليذكره بالله ويعمل على تعليمه وتأديبه.

٣- ومن أسباب الكسل: كثرة النوم والأكل:

فالإكثار من النوم والأكل يورث الكسل وضعف البدن.

يقول ابن القيم -رحمه الله- كما في" زاد المعاد: ٤/١٨":

" فإن البطن إذا امتلأ من الطعام ضاق عن الشراب، فإذا ورد عليه الشراب ضاق عن النفس، وعرض له الكرب والتعب بحمله بمنزلة حامل الحمل الثقيل، هذا إلى ما يلزم ذلك من فساد القلب وكسل الجوارح عن الطاعات وتحركها في الشهوات التي يستلزمها الشبع، فامتلاء البطن من الطعام مضر للقلب والبدن ". اهـ.

وقال أيضًا -رحمه الله- في نفس المصدر: ٤/٢٤١":

" إن الإكثار من النوم – لاسيما نوم النهار- يورث الأمراض الرطوبية والنوازل، ويفسد اللون ويرخى العصب ويكسِّل ". اهـ.

وقال ابن القيم -رحمه الله- أيضًا كما في" زاد المعاد: ٤/٤١٠":

" أربعة أشياء تمرض الجسم: الكلام الكثير، والنوم الكثير، والأكل الكثير، والجماع الكثير".

فالكلام الكثير: يقلل مخ الدماغ ويضعفه ويعجل الشيب.

والنوم الكثير: يصفر الوجه ويعمى القلب ويهيج العين ويكسل عن العمل ويولد الرطوبات في البدن.

والأكل الكثير: يفسد فم المعدة ويضعف الجسم ويولد الرياح الغليظة والأدواء العسرة.

والجماع الكثير: يهد البدن، ويضعف القوى، ويجفف رطوبات البدن، ويرخى العصب، ويورث الكسل، ويعم ضرره جميع البدن ويخص الدماغ لكثرة ما يتحلل به من الروح النفساني، وإضعافه أكثر من إضعاف جميع المستفرغات! ويستفرغ من جوهر الروح شيئًا كثيرًا ". اهـ.

وقال النووي -رحمه الله- عند شرح حديث" إن الله يكره التثاؤب":

" لأنه يكون غالبًا مع ثقل البدن وامتلائه واسترخائه وميله إلى الكسل، والمراد التحذير من السبب الذي يتولد منه ذلك وهو التوسع في المأكل وإكثار الأكل ". اهـ. (شرح مسلم: ١٨/٣٣٢)

وقال الخطابي-رحمه الله- كما في" معالم السنن: ٤/١٣١ عند شرحه لحديث: "**إن الله يكره التثاؤب**":" معنى حب العطاس وحمده، وكراهة التثاؤب وذمه: أن العطاس إنما يكون مع انفتاح المسام وخفة البدن وتيسير الحركات وسبب هذه الأمور تخفيف الغذاء والإقلال من المطعم والاجتزاء باليسير منه، والتثاؤب إنما يكون مع ثقل البدن وامتلائه وعند استرخائه للنوم وميله إلى الكسل فصار العطاس محمودًا لأنه يعين على الطاعات والتثاؤب مذمومًا لأنه يثبطه عن الخيرات وقضاء الواجبات ". اهـ.

وقد جمع الحافظ ابن حجر -رحمه الله- بين الأدلة التي تنهى عن الشبع، والأدلة الدالة على الشبع أحيانا فقال -رحمه الله-: "ويمكن الجمع: بأن يُحمل الزجر على من يتخذ الشبع عادة لما يترتب على ذلك من الكسل عن العبادة وغيرها، ويحمل الجواز على من وقع له ذلك نادرا ولاسيما بعد شدة جوع، واستبعاد حصول شيء بعده عن قرب ". (فتح الباري:١١/٢٩٤)

والشبع رسول النوم، وأخو الكسل:

يقول أبو عبد الرحمن السلمي -رحمه الله-: " الكسل ميراث الشبع ". (عيوب النفس ص ١٤)

والشبع كذلك ضياع للعلم:

يقول سحنون -رحمه الله-: " لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع ".

أما بالنسبة للنهي عن كثرة النوم:

يقول السفاريني-رحمه الله- كما في غذاء الألباب: ٢/٣٥٩": مطلب في آفات كثرة النوم:

منها: أنه دليل على الضعف، وعدم الذكاء.

ومنها: أنه مسبب الكسل، ومادة العجز، وتضييع للعمر في غير نفع وقساوة للقلب ". اهـ.

وقد قيل:

من لزم الرقاد عدم المراد ومن دام كسله خاب أمله

وقيل أيضًا:

حبُّ السلامة يثني عزم صاحبه عن المعالي ويغري المرء بالكسل

وقيل أيضًا:

اطلب العلم ولا تكسلْ فما أبعدَ الخيرَ عن أهل الكسل

واهجرِ النومَ وحصله فمن يعرف المطلوبَ يحقر ما بذل

٤- ومن أسباب الكسل: طول الأمل:

قال تعالى: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (الحجر: ٣)

أي دعهم يا محمد يعيشوا كالأنعام ولا يهتمون بغير الطعام والشهوات، ويشغلهم طول الأمل عن الإيمان، والأخذ بطاعة الله.

والأمل كما قال الحافظ ابن حجر–رحمه الله–: " هو رجاء ما تحبه النفس من طول عمر وزيادة غنى وهو قريب المعنى من التمني ". اهـ.

وقد بين رب العالمين في القرآن الكريم أن طول الأمل من وساوس الشياطين، **قال تعالى:** ﴿ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴾ (محمد: ٢٥)

قال الحسن البصري –رحمه الله–: " أي زين لهم الشيطان الخطايا، ومد لهم في الأمل " فالشيطان يغر الإنسان، ويعده ويمنيه الخلد، ويشجعه على الانغماس في الشهوات، والوقوع في المحرمات، واللهث وراء الملذات، والكسل عن الطاعات كما قال تعالى عن الشيطان: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (النساء: ١٢٠)

يقول ابن الجوزي –رحمه الله– في كتابه " تلبيس إبليس: ص٤٥١: باب ذكر تلبيس إبليس على جميع الناس بطول الأمل: " كم خطر على قلب يهودي ونصراني حب الإسلام فلا يزال إبليس يثبطه ويقول: لا تعجل، وتمهل، فيسوِّفه حتى يموت على كفره، وكذلك يُسَوِّف للعاصي التوبة فيجعل غرضه من الشهوات ويمينه الإنابة، وكم من عازم على الجد سوَّفه، وكم ساع إلى فضيلة ثبطه، فلربما عزم الفقيه على إعادة درسه فقال: أسترح ساعة، أو أنتبه العابد في الليل يصلي فقال له: أمامك ليل طويل فارقد، ولا يزال يحبب الكسل، ويسوِّف العمل، ويسند الأمر إلى طول الأمل، وهذا سبب للتقصير في كل خير أو ميل إلى الشر". اهـ بتصرف واختصار.

وصدق الحسن البصري حيث يقول: " ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل ".

وصدق والله الحسن البصري فطول الأمل سبب لقلة الطاعة، والتكاسل عن العبادة وقسوة القلب، وتأخير التوبة، واتباع الهوى، وكثرة المعصية، والحرص على الدنيا، والغفلة عن الموت، وما بعده من شدائد وأهوال، وربما الموت على المعصية، وهذا عين الشقاء.

يقول مالك بن دينار–رحمه الله–:

" أربع من الشقاء: قسوة القلب، وجمود العين، وطول الأمل، والحرص على الدنيا ".

ويقول الفضيل بن عياض -رحمه الله-:

" إن من الشقاء طول الأمل، وإن من النعيم قصر الأمل ".

وقصر الأمل هو الاستعداد للرحيل في أي وقت فلا ترى صاحبه إلا متأهبًا لعلمه بقرب الرحيل، وسرعة انقضاء مدة الحياة، وهو من أنفع الأمور للقلب، فإنه يبعث على انتهاز فرصة الحياة التي تمر مر السحاب.

ومثل من يطيل الأمل ويقعد عن العمل، والآخر المتأهب المستعد، كمثل قوم في سفر فنزلوا قرية، فمضى المتأهب الحازم المستعد، فاشترى ما يصلح لتمام سفره وجلس متأهبا للرحيل، أما المفرط فإنه يقول كل يوم سأتأهب غدا، حتى أعلن أمير القافلة الرحيل ولا زاد منه.

فهذا حال المؤمن الحازم الذي لا يندم عند مجيء الموت، بخلاف المفرط الذي يصرخ عند مجيء الموت **ويقول:** ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ (المؤمنون ٩٩،١٠٠)

يقول الحافظ ابن حجر-رحمه الله- كما في" فتح الباري: ١١/٢٨٥":

ويتولد من طول الأمل الكسل في الطاعة، والتسويف بالتوبة، والرغبة في الدنيا والنسيان للآخرة، والقسوة في القلب ". اهـ.

وقد قيل: " من استطال الطريق ضعف مشيه ". (بدائع الفوائد: ٣/١٨٠)

فالصالحون أدركوا خطورة الأمر، فشمروا عن ساعد الجد، وأيقنوا أن الحياة الحقيقية والسعادة الأبدية، إنما هي حياة الأبرار في دار الرحمن حيث جنات النعيم، فكان كل ما يشغل بالهم ويسيطر على وجدانهم أن يبذلوا قصارى جهدهم، ليفوزوا بالجنة والنعيم المقيم، وينعموا برؤية وجه الله الكريم.

يقول اللبيدي -رحمه الله-:

" وجدت بعد موت أبي إسحاق الجبنياني-رحمه الله- رقعة تحت حصيرة مكتوبة بخطه وفيها: رجل وقف له هاتف، فقال له، أحسن.. أحسن عملك، فقد دنا أجلك، فقال لي ولده عبد الرحمن: إنه كان إذا قصر في العمل، أخرج الرقعة فنظر فيها ورجع إلى جده.

٥- ومن أسباب الكسل: ضعف الهمة:

الهمة طليعة الأعمال ومقدمتها، ومتى كانت قوية وصادقة وعالية: لم يَأْلُ صاحبها جهدًا للظفر بمطلوبه وضعيف الهمة على ضد ذلك.

فعلو الهمة عنوان فلاح العبد، كما أن ضعفها عنوان حرمانه.

ولله در القائل: العلم والعمل توأمان أمهما علو الهمة، والجهل والبطالة توأمان أمهما إيثار الكسل ".
(بدائع الفوائد: ١٢٠٦/٣)

ويقول الراغب -رحمه الله-:

الكبير الهمة على الإطلاق هو من لا يرضى بالهمم الحيوانية قدر وسعه، بل يجتهد لأن يتخصص بمكارم الشريعة، فيصير من خلفاء الله وأوليائه في الدنيا، ومجاوره في الآخرة، وصغير الهمة من كان على الضد من ذلك. اهـ.

وصدق القائل حيث قال:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي على قدر الكريم المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها ... وتصغر في عين العظيم العظائم

فالكسل الداء العضال لأصحاب الهمم العالية، فكم من موهوب نابغ يهجم عليه الكسل والخمول وحب الراحة والدعة فيهبط به ذلك إلى أسفل سافلين، وتمحق موهبته، وتطفئ همته، وتخبو حدته.

وقد أحسن من قال:

ولم أرَ في عيوب الناس عيبًا ... كنقص القادرين على التَّمام

وقد قيل أيضًا:

من يتهيب صعود الجبال ... يعش أبد الدهر بين الحفر

٦- ومن أسباب الكسل: ضعف الروح المعنوية:

فالإنسان في هذه الحياة له طموحات وأهداف يسعى لتحقيقها فإذا هيأ نفسه لإنجاز ما عزم عليه، وسعى في الوصول إليه، ربما تعتريه بعض المعوقات، فإذا استسلم لها أصيب بالخيبة والإحباط، وينشأ عن هذا التكاسل عما عزم عليه.

وكما قيل: والكسل مجلبٌ للفشل، ومبطلٌ للعمل، ومخيبٌ للأمل ". (بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي: ٣٥٢/٤)

٧- ومن أسباب الكسل: التهاون:

التهاون بالأمور يعنى احتقارها والاستخفاف بشأنها واللامبالاة بها، مما يؤدي إلى التفريط فيها والتكاسل عنها.

والتهاون سبب كبير في الكسل عن أمور كثيرة من أمور الدين والدنيا، وربما كان فيما تكاسل عنه خير عظيم ونفع عميم.

قال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ (الكهف: ٢٨)

أي أمره تفريط وتضييع لما يجب عليه أن يلتزم به.

يقول السعدى -رحمه الله- في تفسير الآية السابقة:

وفي قوله تعالى: (وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا) غفل عن الله، فعاقبه بأن أغفله عن ذكره، (وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) أي صار تبعًا لهواه، حيث ما اشتهت نفسه فعله وسعى في إدراكه، ولو كان فيه هلاكه وخسرانه، فهو قد اتخذ إلهه هواه، **كما قال تعالى:** (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ) **ثم قال تعالى:** (وَكَانَ أَمْرُهُ) أي مصالح دينه ودنياه (فُرُطًا) أي: ضائعة معطلة.

٨- ومن أسباب الكسل: البلادة (ضعف التفكير):

والبلادة هي: ضعف التفكير في الأشياء العملية التي تتعلق بحسن التدبير، وجودة المعاش:

وهناك بليد معذور لأن عجزه خِلْقي ***وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن ابن عمر- رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال:*** " كُلُّ شيءٍ بقَدَرٍ، حتَّى العَجْزِ وَالْكَيْسِ ".

لكن البلادة المذمومة هي في حال من أُعطى عقلا سليمًا، وحواس مكتملة ثم لا يُعمل هذا في طاعة الله، ولا يسعى لنجاة نفسه، **وقد قال تعالى:** ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٧٩)

فالبليد ضعيف العقل والتدبير، وهو ضيق الأفق، قريب النظر، وهو أبعد الخلق عن الإنجاز والإبداع.

يقول الراغب -رحمه الله-:

" من تعود الكسل ومال إلى الراحة فقد الراحة، فحب الهوينا يكسب النصب " (فيض القدير: ٢١٥/١)

وجاء نفس المصدر: " إن أردت ألا تتعب، فاتعب لئلا تتعب ".

٩- ومن أسباب الكسل: الإصابة بالأمراض الجسدية:

فالمرض يتعب البدن ويضعف الهمة، ويرهق النفس، وينتج عن ذلك الكسل.

لكنه كسل طبيعي خلقي ينتج عنه ضعف القوى البدنية وفتور البدن، ولذلك قد يثقل عليه بعض أعمال البر والخير، ويكسل عنها، لضعفه لهذا أمر الشرع: بحفظ الصحة وبذل أسباب ذلك، والحمية عن كل ما يضر بالصحة وأمر الشرع بالتداوي إذا أُصيب الإنسان بمرض.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:

" لِكُلِّ داءٍ دَواءٌ، فإذا أُصيبَ دَواءُ الدَّاءِ بَرَأَ بإذْنِ اللهِ عزَّ وجلَّ ".

وأخرج الإمام أحمد وابن ماجه وأبو داود والترمذي من حديث أسامة بن شريك ﷺ قال: **شَهدتُ الأعرابَ يسألونَ النَّبيَّ ﷺ أعلينا حرجٌ في كذا؟ أعلَينا حرجٌ في كذا؟ فقالَ لَهم: عبادَ اللَّهِ وضعَ اللَّهُ الحرجَ إلَّا منِ اقترضَ من عرضِ أخيهِ شيئًا، فذاكَ الَّذي حُرِجَ، فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ! هل علينا جناحٌ ألا نتداوى؟ قالَ: تداوَوا عبادَ اللَّهِ، فإنَّ اللَّهَ سبحانَهُ لم يضع داءً إلَّا وضعَ معَهُ شفاءً؛ إلَّا الْهرمَ. قالوا: يا رسولَ اللَّهِ! ما خيرُ ما أعطِيَ العبدُ؟ قالَ: خُلُقٌ حسنٌ ".**

وفي لفظ: **" ما أنزل اللهُ داءً إلا أنزل له شفاءً، علمَهُ من علمه وجهلَه من جهِله ".**

قال ابن القيم -رحمه الله- كما في" زاد المعاد: ٤/١٥":

وفي الأحاديث الصحيحة : الأمر بالتداوي، وأنه لا ينافي التوكل كما لا ينافيه دفع داء الجوع والعطش والحر والبرد بأضدادها، بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرًا وشرعًا، وإن تعطيلها يقدح في نفس التوكل كما يقدح في الأمر والحكمة، ويضعفه من حيث يظن معطلها أن تركها أقوى في التوكل، فإن تركها عجزا ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولابد مع هذا الاعتماد : من مباشرة الأسباب وإلا كان معطلًا للحكمة والشرع، فلا يجعل العبدُ عجزه : توكلًا، ولا توكله : عجزًا ". اهـ.

وهذا الضعف والكسل الناتج عن تلك الأمراض لا يؤاخذ عليه العبد، ولكنه مأمور بدفعه ببذل أسباب العافية، من الدعاء، والدواء، والتغذية الحسنة، ونحو ذلك، ليواصل سيره إلى الله تعالى.

١٠- ومن أسباب الكسل: إجهاد الجسد بكثرة العمل:

فكثرة الأعمال تسبب الإرهاق والضعف ويؤدى هذا إلى الفتور والكسل ***ويدل على هذا ما رواه البخاري ومسلم من حديث جابر ﷺ قال:*** **كان معاذٌ يصلِّي مع النَّبيِّ ﷺ ثمَّ يرجِعُ فيؤمُّنا – قال مرَّةً: ثمَّ يرجِعُ فيصلِّي بقومِه– فأخَّر النَّبيُّ ﷺ ليلةً الصَّلاةَ – وقال مَرَّةً: العِشاءَ– فصَلَّى معاذٌ مع النَّبيِّ ﷺ ، ثمَّ جاء يؤمُّ قَومَه، فقرأ البقَرَةَ، فاعتزل رجلٌ مِن القَومِ فصَلَّى، فقيل: نافَقْتَ يا فُلانُ! فقال: ما نافَقْتُ، فأتى رسولَ اللهِ ﷺ فقال: إنَّ مُعاذًا يصَلِّي معك، ثمَّ يرجِعُ فيؤُمُّنا يا رَسولَ اللهِ، وإنَّما نحن أصحابُ نواضِحَ، ونعمَلُ بأيدينا، وإنَّه جاء يؤمُّنا فقرَأَ بسورةِ البقَرةِ! فقال: يا مُعاذُ، أفتَّانٌ أنت؟! أفتَّانٌ أنت؟! اقرأْ بكذا اقرَأْ بكذا، قال أبو الزُّبيرِ بـ (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى) ".**

وفي رواية: **" يا مُعاذُ، لا تكُنْ فتَّانًا؛ فإنَّه يصلِّي وراءك الكبيرُ والضَّعيفُ وذو الحاجةِ والمسافِرُ!".**

فالأنصاري ﷺ ضعف عن طول القيام، وعلل ذلك بأعماله التي أتعبته، وذلك التطويل ليس من واجبات الصلاة، فقبل النبي ﷺ عذره، ونسب معاذا إلى الفتنة : أي يتعب الناس بالتطويل، ويصرفهم عن الجماعة بسبب ذلك.

يقول القرطبي –رحمه الله– كما في" المفهم: ٢/٧٦، ٧٧ ":

" وأما قطع الرجل الصلاة فلعذر صح له، وهو أنه ضعف عن صلاة معاذ عما لحقه من شدة ألم العمل، ولأجل ذلك أنكر النبي ﷺ على معاذ حتى نسبه إلى الفتنة ". اهـ.

١١- ومن أسباب الكسل: الغلو في العبادة:

من شدد شُدد عليه، ومن حمل نفسه ما لا يطيق سقط ولابد من منتصف الطريق ***وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص –رضي الله عنهما– قال: قَالَ لِي رَسولُ اللَّهِ ﷺ:*** **" يا عَبْدَ اللَّهِ، أَلَمْ أُخْبَرْ أنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ، وتَقُومُ اللَّيْلَ؟، فَقُلتُ: بَلَى يا رَسولَ اللَّهِ قَالَ: فلا تَفْعَلْ صُمْ وأَفْطِرْ، وقُمْ ونَمْ، فإنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وإنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وإنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وإنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وإنَّ بحَسْبِكَ أنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أيَّامٍ، فإنَّ لكَ بكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أمْثَالِهَا، فإنَّ ذلكَ صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ، فَشَدَّدْتُ، فَشُدِّدَ عَلَيَّ قُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ إنِّي أجِدُ قُوَّةً قَالَ: فَصُمْ صِيَامَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عليه السَّلَامُ، ولَا تَزِدْ عليه، قُلتُ: وما كانَ صِيَامُ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عليه السَّلَامُ؟ قَالَ: نِصْفَ الدَّهْرِ، فَكانَ عبدُ اللَّهِ يقولُ بَعْدَ ما كَبِرَ: يا لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ النبيِّ ﷺ ".**

هذا في شأن التشديد على النفس بالصيام، أما في شأن قيام الليل، فالإفراط فيه كذلك يؤدى إلى التفريط، لذا حذر النبي ﷺ نفس الصحابي عبد الله بن عمرو–رضي الله عنهما– من الانقطاع عن قيام الليل من جراء ذلك **فقال:" يا عبدَ اللهِ! لا تكُنْ مِثْلَ فُلانٍ كان يقومُ من الليلِ، فترَكَ قِيامَ الليْلِ ".**

(رواه الشيخان عن ابن عمرو –رضي الله عنهما–)

١٢ - ومن أسباب الكسل: التخاذل والركون إلى الدنيا:

إذا أراد الإنسان بعمله وجه الله تعالى، فإن الله يبارك له في عمله ويثبته عليه، **كما قيل:** ما كان لله دام واتصل، وما كان لغيره أنقطع وأنفصل.

ويقول الشيخ على سلطان القارئ –رحمه الله-:

اعلم أن عدم وصول المريد إلى النهاية لعدم تصحيح النية في البداية، فعدم الوصول لفقد الأصول.

ولنضرب لذلك مثالا بطالب العلم، فإذا أراد بطلبه للعلم وجه الله تعالى، جمع الله له شمله فتراه مشغولا بما يعينه، معرضًا عما يضره، نشيطًا في عبادته، عالي الهمة.

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه ابن ماجه من حديث زيد بن ثابت ﷺ عن النبي ﷺ قال في حديث له: " ... ومن كانت الآخرةُ نيَّتَه جمع اللهُ أمرَه وجعل غناه في قلبِه وأتته الدُّنيا وهي راغمةٌ " .

يقول داود الطائي–رحمه الله-:

" رأيت الخير كله إنما يجمعه حسن النية وكفاك بها خيرًا ". اهـ.

أما من كان عمله لغير وجه الله ***فقد قال النبي ﷺ عنه في مقدمة الحديث السابق:*** " مَن كانتِ الدنيا همَّهُ فرَّقَ اللهُ عليهِ أمْرَه وجعَل فقرَه بين عَينَيهِ ولمْ يأتِهِ مِن الدنيا إلَّا ما كُتِبَ له... ". الحديث.

فحرام على قلب أن يشم رائحة الصدق والإخلاص، ونيته لغير الله فإذا تغيرت النية، فأصبحت الدنيا هي المطلب، تبدلت الأحوال، وكان الخذلان **كما قال تعالى:**

﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (الصف: ٥)

وقال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنفال: ٥٣)

وكما قص ربنا علينا في كتابه الكريم عن الرجل الذي أراد له الكرامة بما آتاه من علم الكتاب، فبدل الرجل وغَيَّر، وأراد الدنيا وأخلد إليها، فبدل حاله على نحو من نيته الدنية وسفول همته. **قال تعالى:**

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف : ١٧٥،١٧٦).

نقل البغوي في تفسيره معالم التنزيل ٣/٣٠٤ عن عطاء أنه قال في تفسير هذه الآيات:

" هذا أراد الدنيا وأطاع شيطانه، **ثم قال البغوي معلقا:** وهذه أشد آية على العلماء، وذلك أن الله أخبر أنه آتاه الآيات من العلم والحكمة فاستوجب بالسكون إلى الدنيا واتباع الهوى، تغيير النعمة عليه، والانسلاخ عنها، ومن الذي يسلم من هاتين الخلتين إلا من عصمه الله ". اهـ.

وهكذا الذي يبدل نيته وينصرف إلى الدنيا وملاذها: يبرد، ويتخدر تمامًا، فكم من رجل كان ذو همة عالية في طلب العلم والدعوة والتأليف والتحقيق لكن بعد التخاذل والركون إلى الدنيا أصبح ضعيف الهمة، لأن الوهن قذف في قلبه؛ وهو حب الدنيا وكراهية الموت، نعوذ بالله من الخذلان.

فسبحان الله العظيم، فهذا الرجل الفقيه المحقق للمسائل العلمية، أو الداعي النشيط، الذي كان نفعه مثل الغيث المدرار قد تحول إلى خامل، وقد ملأت الدنيا قلبه وهذا أمر مخيف، يوجب على كل إنسان كثرة الدعاء أن يثبته الله على الإيمان ويلح في التضرع لرب العالمين أن يثبت قدمه على الهدى والطريق المستقيم، وأن يكثر من قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ (آل عمران: ٨)

وقد كان النبي ﷺ وهو سيد الخلق وحبيب الحق يقول: **" يا مقلّبَ القلوبِ ثبِّت قلبي على دينِكَ ".**

وكان يقول أيضًا: **" اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك ".**

فقد أخرج الترمذي عن شهر بن حوشب قال: قُلتُ لأمِّ سلمةَ -رضي الله عنها-: **يا أمَّ المؤمنينَ ما كانَ أَكْثرُ دعاءِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إذا كانَ عندَكِ؟ قالَت: كانَ أَكْثرُ دعائِهِ:" يا مُقلِّبَ القلوبِ ثبِّت قلبي على دينِكَ قالَت: فقُلتُ: يا رسولَ اللَّهِ ما أكثرُ دعاءكَ يا مقلِّبَ القلوبِ ثبِّت قلبي على دينِكَ؟ قالَ: يا أمَّ سلمةَ إنَّهُ لَيسَ آدميٌّ إلَّا وقلبُهُ بينَ أصبُعَيْنِ من أصابعِ اللَّهِ، فمَن شاءَ أقامَ، ومن شاءَ أزاغَ. فتلا معاذٌ: رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ".** (صحيح الترمذي: ٣٥٢٢)

وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث أنس بن مالك ﷺ **كان رسولُ اللهِ ﷺ وسلَّمَ يُكثرُ أن يقولَ: " يا مقلِّبَ القلوبِ ثَبِّتْ قلبِي على دينِك"، فقلت: يا نبيَّ اللهِ آمنَّا بك وبما جئتَ به فهل تخافُ علينا؟ قال:" نعم إن القلوبَ بينَ إصبعينِ من أصابعِ اللهِ يُقلِّبُها كيفَ يشاءُ ".**

علاج الكسل

١- *النية الصادقة والإرادة القوية على ترك الكسل والإقبال على الطاعة:*

فإذا كانت هناك إرادة قوية ونية صادقة على التخلص من هذا الداء الوبيل والمرض الخطير فإن الله تعالى يعين العبد على التخلص منه. **قال تعالى في شأن المنافقين الذين لم يخرجوا للجهاد:**

﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ (التوبة: ٤٦)

فتأتى الإرادة أولًا؛ أي لو كانوا صادقين حقًّا في إرادة الخروج لأعدوا له العدة، لكن عزيمتهم لم تكن صادقة، والنية لم تكن خالصة، فكره الله خروجهم فثبطهم فكانوا مع القاعدين، وهذا عندما وجد الله منهم إصرارًا على مخالفته، وخورًا في العزيمة، ونية واضحة للمعصية، والله تعالى لا يريد من الذي يأتي إليه يأتي مضطرًا كارهًا، إنما يحب العبد الطائع عن رغبة، والملبي له عن شوق، ولذلك كره الله انبعاثهم وثبطهم.

فاحذر أن تكون ممن كره الله انبعاثه، فأصابه بالكسل والفتور والضعف والقعود؛ لأنه غير صادق في إرادته، وغير مخلص في نيته.

فعلم من هذا أن الإرادة القوية، والنية الصادقة للتغير، سبيل للخلاص من هذا الداء العضال، والمرض الفتاك.

٢- *إخلاص العمل لله تعالى:*

فالعبد إذا كان مخلصا لله تعالى، ولا يتبغى بعمله سوى وجه الله، فإنك تراه يلزم حالة واحدة في القول والعمل والسر والعلن، وفي السراء والضراء، وعلى أي حال وفي كل زمان، فهو على وتيرة واحدة، لا يزيده نظر ناظرٍ إقبالًا، ولا يورثه جفاء جافٍ إدبارًا، لأنه يعلم أن معه الله وهو مطلع عليه، بخلاف من أصيب بداء النفاق، فيظهر خلاف ما يبطن، فتراه نشيطًا حال نظر الناس، كسولًا عند غياب العيون عنه.

يقول الفضيل بن عياض –رحمه الله–:

" ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجلهم شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما ". اهـ.

ومعنى ترك العمل لأجل الناس ألا يحب أن يعمل إلا في محل يحمده الناس فيه، فإن لم يجد من يحمده ترك العمل وكسل عنه.

٣- الاستعانة بالله تعالى على طاعته:

فعلى المرء أن يستعن بالله تعالى على طاعته ويتضرع إليه بذلك، وقد أوصى النبي ﷺ معاذا بهذا.

فقد أخرج أبو داود وغيره من حديث معاذ ﷺ **أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ أخذَ بيدِهِ، وقالَ:" يا مُعاذُ، واللَّهِ إنِّي لأحبُّكَ، واللَّهِ إنِّي لأحبُّك، فقالَ: أوصيكَ يا معاذُ لا تدَعنَّ في دُبُرَ كلِّ صلاةٍ تقولُ: اللَّهمَّ أعنِّي على ذِكْرِكَ، وشُكْرِكَ، وحُسنِ عبادتِكَ ".** (صحيح أبي داود: ١٥٢٢)

والنبي ﷺ أعلم معاذًا بالمحبة قبل نصيحته ليكون في غاية الاستعداد عما يُلْقى عليه، فعلى العبد أن يسأل الله العون في كل أحواله، وهو دعاء جامع يشمل عمل القلب، واللسان، والجوارح، **فقوله:" اللهم أعنى على ذكرك** ": فهذه طاعة اللسان، " **وشكرك** ": طاعة القلب، " **وحسن عبادتكم** ": طاعة الجوارح والأركان. فمن واظب على هذا الدعاء كان الأوفر حظًا في الاستمرار، والأعظم ثباتًا، والأعلى همة ونشاطًا. بل شرع لك أن تقول في كل ركعة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ثم تقول بعد الفراغ من الفاتحة (آمين) يعنى: اللهم استجب، فالعبد بحاجة إلى معونة من ربه سبحانه للمواصلة في فعل الخير، فالدين كله عبادة واستعانة.

وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" الْمُؤْمِنُ القَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وفي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ علَى ما يَنْفَعُكَ، واسْتَعِنْ باللَّهِ ولا تَعْجِزْ، وإنْ أصَابَكَ شيءٌ، فلا تَقُلْ لو أنِّي فَعَلْتُ كانَ كَذَا وكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَما شَاءَ فَعَلَ، فإنَّ لو تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ ".**

فمن سأل العون من الله أعانه الله، ومن لم يسأل الله وُكل إلى نفسه فهلك.

يقول القرطبي-رحمه الله- كما في" المفهم ٦/٢٨٢-٢٨٣ ": قوله ﷺ: **" احْرِصْ علَى ما يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ باللَّهِ ولا تَعْجِزْ "** أي استعمل الحرص والاجتهاد في تحصيل ما تنتفع به في أمر دينك ودنياك، التي تستعين بها على صيانة دينك وصيانة عيالك، ومكارم أخلاقك، ولا تفرط في طلب ذلك، ولا تتعاجز عنه متكلاً على القدر، فتنسب إلى التقصير، وتلام على التفريط شرعا، وعادة ومع إنهاء الاجتهاد نهايته، وإبلاغ الحرص غايته: فلابد من الاستعانة بالله تعالى والالتجاء في كل الأمور إليه، فمن سلك هذين الطريقين حصل على خير الدارين ". اهـ.

فالاعتماد على النفس والحرص على ما ينفع من غير استعانة بالله لا تغني شيئًا ولا تجدى نفعًا، فإذا عبد الإنسان منا الله تعالى فليعلم أنها بتوفيق منه سبحانه فهو الآمر بالعبادة، وهو الموفق إليها، وهو المثبت عليها، فيحمد الإنسانُ منا الله تعالى على تفضله وتوفيقه، ولا ينسب هذا لنفسه، وعلى قدر المئونة، تأتي من الله المعونة.

يقول ابن القيم-رحمه الله- كما في" زاد المعاد: ٢/٣٦٤":

" فالقوة كل القوة في التوكل على الله، كما قال بعض السلف: من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، فالقوة مضمونة للمتوكل، والكفاية والحسب والدفع عنه، وإنما ينقص عليه من ذلك بقدر ما ينقص من التقوى والتوكل، وإلا فمع تحققه بهما لا بد أن يجعل الله له مخرجا من كل ما ضاق على الناس، ويكون الله حسبه وكافيه.

وكان من دعاء النبي ﷺ: **" ربِّ أعنِّي ولا تُعِن عليَّ، وانصرني ولا تنصُر عليَّ، وامكُر لي ولا تمكُر عليَّ، وانصُرني على من بَغى عليَّ، ربِّ اجعلني لَكَ شَكَّارًا، لَكَ ذَكَّارًا، لَكَ رَهَّابًا، لَكَ مِطواعًا، لَكَ مُخبتًا، إليكَ أوَّاهًا مُنيبًا، ربِّ تقبَّل توبَتي، واغسِل حوبَتي، وأجِب دعوتي، وثبِّت حجَّتي، واهدِ قلبي، وسدِّد لِساني، واسلُل سخيمةَ قلبي ".** (رواه أهل السنن من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-)

وقد ورد سؤال إلي شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- وفيه:

ما العمل فيمن سلط عليه الكسل؟ وما الطريق إلى التوفيق، وما الحيلة فيمن بسطت عليه الحيرة، إن قصد التوجه إلى الله منعه هواه؟ وإن رام الادكار غلبه الإفتكار، وإن أراد أن يشتغل طاوعه الفشل؟

فقال -رحمه الله-:" دواؤه الالتجاء إلى الله تعالى، ودوام التضرع والدعاء، وبأن يتعلم من الأدعية المأثورة، ويتوخى الدعاء بها في مظان الإجابة، مثل آخر الليل، وأوقات الأذان والإقامة، وفي سجوده، وفي أدبار الصلوات ويضيف إلى ذلك الاستغفار، فإنه من استغفر ثم تاب إلى الله تعالى متعه الله متاعًا حسنًا إلى أجل مسمى، وليتخذ وردًا من الأذكار طرفي النهار ووقت النوم، وليصبر على ما يعرض له من الموانع والصوارف، فإنه لا يلبث أن يؤيده الله بروح منه ويكتب الإيمان في قلبه، وليحرص على أعمال الفرائض من الصلوات الخمس باطنها، وظاهرها، فإنها عمود الدين وليكن هجِّيراه: " لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم". فإنه بها يحمل الأثقال، ويكابد الأهوال، وينال رفعة الأحوال، ولا يسأم من الدعاء، فان العبد يستجاب له ما لم يُعجل، يقول: قد دعوت فلم يُستجب لي، وليعلم أن النصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا، ولم ينل أحد شيئًا من ختم الخير -نبى فمن دونه- إلا مع الصبر، والله أعلم ". اهـ. (الفتاوى العراقية: ٢/٦٤٩)

٤- علو الهمة في الطاعة والإقبال عليها بقوة ونشاط وعدم التكاسل عنها:

فالله تعالى أمرنا بلزوم القوة في طاعته، **فقال تعالى:** ﴿ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ ﴾ (البقرة: ٩٣)

وقال تعالى: ﴿ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ٦٣)

ومعنى الأمر بأخذهم ما آتاهم الله في كتابه بقوة أي بجد واجتهاد وانقياد وصبر على أوامر الله ورغبته في الطاعة، والعمل بما فيه من غير زيادة وإفراط، أو نقص وتفريط.

وقال تعالى: ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ (مريم: ١٢)

قال ابن كثير –رحمه الله– في تفسير الآية السابقة: ٣/١٥٩:

وقوله: (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ) أي بجد وحرص واجتهاد.

وقال السعدى –رحمه الله– في تفسيره" تيسير الكريم ص٤٩٠":

أمره الله أن يأخذ الكتاب بقوة: أي بجد واجتهاد، وذلك بالاجتهاد في حفظ ألفاظه، وفهم معانيه، والعمل بأوامره، ونواهيه، وهذا تمام أخذ الكتاب بقوة ".

وقال تعالى عن موسى– عليه السلام–: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (الأعراف: ١٤٥)

قال ابن كثير في" تفسيره :٢/٣٣٨": وقوله (فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ) أي عزم على الطاعة.

وقال السعدى في" تفسيره ص٤٧٢": " أي بجد واجتهاد على إقامتها ".

وهناك من الأدلة الكثيرة في القرآن والتي تحث على العزم والقوة والنشاط في طاعة الله، ومفهوم المخالفة منها هو النهى عن التكاسل والتباطؤ عن امتثال أوامر الله.

وقد جاء في السنة أيضًا الأمر بالقوة والنشاط في طاعة الله، *فقد مر بنا في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:* " الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وفي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ علَى ما يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ باللَّهِ ولا تَعْجِزْ، وإنْ أَصَابَكَ شيءٌ، فلا تَقُلْ لو أَنِّي فَعَلْتُ كانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَما شَاءَ فَعَلَ، فإنَّ لو تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ ".

فالنبي ﷺ يستهل حديثه هذا بمدح المؤمن القوى، ولخص ذلك في أمرين:

الأول: تكريمه وتفضيله، والأخبار عن رفعه درجته، وعلو مكانته على المؤمن الضعيف المتكاسل.

الثاني: إخباره ﷺ بأن الله تعالى يحبه، وناهيك بمحبة الله تعالى للعبد مزية، فإن محبة الله تعالى لعبده تثمر توفيق العبد، وتسديده في أقواله وحركاته، وسكناته.

كما في الحديث القدسي الذي رواه البخاري يقولُ اللَّهَ تبارك وتعالى: **" ما تقرَّبَ إليَّ عبدي بشيءٍ أحب إليَّ مما افترضتُ عليْهِ، وما يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أحبَّهُ، فإذا أحببتُهُ كنتُ سمعَهُ الَّذي يسمعُ بِهِ، وبصرَهُ الَّذي يبصرُ بِهِ، ويدَهُ الَّتي يبطشُ بِها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينَّهُ، ولئن استعاذَني لأعيذنَّهُ ...".**

والقوة المرادة في الحديث: المقصود منها بالأصالة قوة الإيمان، والعزيمة، والإرادة، وعلو الهمة المورثة النشاط والإقبال على طاعة الله حبا وتذللا، وتعظيما.

قال النووي –رحمه الله–كما في" شرح مسلم:١٦/٤٥٥":

وفي قول ﷺ:" **الْمُؤْمِنُ القَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ...** " فالمراد بالقوة هنا: عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداما على العدو في الجهاد وأسرع خروجا إليه وذهابا في طلبه، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والصبر على الأذى في كل ذلك، واحتمال المشاق في ذات الله تعالى وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات، وأنشط طلبا لها ومحافظة عليها ونحو ذلك ". اهـ.

وقال القرطبي –رحمه الله– كما في" المفهم: ٦/٦٨٢":

" وقوله ﷺ في الحديث السابق: " **الْمُؤْمِنُ القَوِيُّ** " أي القوى البدن، والنفس، الماضي العزيمة، الذي يصلح للقيام بوظائف العبادات من الصوم والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والصبر على ما يصيبه في ذلك، وغير ذلك مما يقوم به الدين، وتنهض به كلمة المسلمين، فهذا هو الأفضل والأكمل ". اهـ.

ولما كان قوله ﷺ: " **الْمُؤْمِنُ القَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ** ". موهمًا أن المؤمن الضعيف لا خير فيه قال بعد: "**وفي كل خير**" وهذا الأسلوب يقال له عند البلاغيين الاحتراز.

(شرح رياض الصالحين: ١/٤٥٩)

وقول النبي ﷺ: " **احْرِصْ علَى ما يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ باللَّهِ ولا تَعْجِزْ** " مستلزم للنهى عن التكاسل والوهن عن طاعة الله، وأكد هذا بقوله: "**ولا تعجز**" فتكون مؤمنًا ضعيفًا، ففي الحديث يبين النبي ﷺ أن المؤمن القوى هو الحريص النشيط صاحب الهمة العالية في طاعة الله، والمؤمن الضعيف هو العاجز الكسول عن طاعة الله.

وقد كان النبي ﷺ يدعو الله أن يمتعه بالقوة على طاعته لأن من متعه الله بالقوة على طاعته كان أبعد الناس عن الكسل والفتور، وأشدهم حرصًا وإقبالًا على العبادة.

فقد أخرج الترمذي وغيره أن النبي ﷺ كان يدعو لأصحابه يقول: " **اللهمَّ اقسِمْ لنا مِنْ خشيَتِك ما تحولُ بِهِ بينَنَا وبينَ معاصيك، ومِنْ طاعَتِكَ ما تُبَلِّغُنَا بِهِ جنتَكَ، ومِنَ اليقينِ ما تُهَوِّنُ بِهِ علَيْنَا مصائِبَ الدُّنيا، اللهمَّ متِّعْنَا بأسماعِنا، وأبصارِنا، وقوَّتِنا ما أحْيَيْتَنا، واجعلْهُ الوارِثَ مِنَّا، واجعَلْ ثأْرَنا عَلَى مَنْ ظَلَمَنا، وانصرْنا عَلَى مَنْ عادَانا، ولا تَجْعَلِ مُصِيبَتَنَا في دينِنا، ولَا تَجْعَلْ الدنيا أكبرَ هَمِّنَا، ولَا مَبْلَغَ عِلْمِنا، ولَا تُسَلِّطْ عَلَيْنا مَنْ لَا يرْحَمُنا** ".

فقوله ﷺ " **متِّعْنَا بأسماعِنا، وأبصارِنا، وقوَّتِنا ما أحْيَيْتَنَا** ": أي اجعلنا متمتعين منتفعين بها، بأن نستعملها في طاعتك ليكون لنا بها نفعًا. (انظر المرقاة: ٥/٢٥٣).

يقول المباركفوري –رحمه الله– كما في" تحفة الأحوذي ٩/ ٤٤١":

" والمراد بالقوة قوة سائر الأعضاء والحواس ". اهـ.

فالموفق من استغل ما أعطاه الله من القوة واستعان بما أوتيه من النعم على طاعة الله، ولم يركن إلى الكسل.

وها هو عبد الله بن عمرو –رضي الله عنهما– يقول له النبي ﷺ: " **حَسْبِكَ أنْ تَصُومَ مِن كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أيَّامٍ** " **فقال يا رسول الله:** " **أُطِيقُ أكْثَرَ مِن ذلكَ** "، فزاده النبي ﷺ ودله على صيام داود ".

(والحديث عند البخاري ومسلم)

قال الطيبي –رحمه الله– كما جاء في" فيض القدير: ٢/١٦٨":

وقول النبي ﷺ: " **اللهمَّ متِّعْنَا بأسماعِنا، وأبصارِنا...** " وإنما خص السمع والبصر بالتمتيع من الحواس لأن الدلائل الموصلة إلى معرفة الله وتوحيده إنما تحصل من طريقهما لأن البراهين إنما تكون مأخوذة من الآيات (المتلوّة) وذلك بطريق السمع، أو من الآيات المنصوبة في الآفاق والأنفس وذلك بطريق البصر، فسأل التمتع بهما حذرًا من الانخراط في سلك الذين ختم الله على قلوبهم، وعلى سمعهم، وعلى أبصارهم غشاوة، ولما حصلت المعرفة بالأوّلين وترتب عليها العبادة: سأل القوة ليتمكن بها من عبادة ربه ". اهـ.

٥- استغلال الأوقات لفعل الطاعات:

المبادرة إلى فعل الخير دون تردد أو تلكؤ حينما تسنح فرصته، وتبدو بادرته، فإن المسارعة إلى ذلك يكسر الكسل، ويطرده.

وإن انتهاز الفرص والمبادرة دليل الحزم، فإن فرصة الخير إذا فاتت لا تتعوض، ولا يمكن استدراكها، ولا يمكن الرجوع بالزمن إلى الوراء، وإنما تستقبل.

فبادر، وسارع إلى الخير، وإياك وتفويت الفرص، ولا تعود نفسك التكاسل، والتباعد والإهمال والنَّسأ، فإن النفس ستعتاد ذلك حتى يصبح سجية لها، وينطبع فيها التسويق، فتخسر وربما تهلك.

وقد يعاقب الله المتكاسل عن الخير الذي لا يبادر إليه بالإعراض عنه، **كما قال تعالى:**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال: ٢٤)

يقول ابن القيم –رحمه الله– كما في" كتابه الفوائد ص١٧١"عند الآية السابقة:

" أي إن تثاقلتم عن الاستجابة وأبطأتم عنها فلا تأمنوا أن الله يحول بينكم وبين قلوبكم فلا يمكنكم بعد ذلك من الاستجابة: عقوبة لكم على تركها بعد وضوح الحق واستبانته فيكون **كقوله:** ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (الأنعام: ١١٠) وقوله ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ (الصف :٥) **وقوله:** ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٠١). اهـ.

فعلى المرء أن ينتهز الفرصة إذا لاحت له، وإذا هبت ريح الطاعة، فعليه أن يتعرض لها ويغتنمها، وإلا انقلبت عليه حسرة.

يقول ابن القيم–رحمه الله– في" زاد المعاد : ٥٧٣/٣ " في قصة توبة كعب بن مالك ﷺ وتسويفه في الخروج مع النبي ﷺ: " حتى خرج الجيش وتفارط الغزو **فقال كعب بن مالك** ﷺ:".. فَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ، فَيَا لَيْتَنِي فَعَلْتُ.." **فقال ابن القيم–رحمه الله–:** الرجل إذا حضرت له فرصة القربة والطاعة فالحزم كل الحزم في انتهازها والمبادرة إليها، والعجز في تأخيرها والتسويف بها، ولا سيما إذا لم يثق بقدرته وتمكنه من أسباب تحصيلها فإن العزائم والهمم سريعة الانتقاض قلما تثبت، والله سبحانه يعاقب من فتح له بابا من الخير فلم ينتهزه، بأن يَحُول بين قلبه وإرادته فلا يمكنه بعد من إرادته عقوبة له، فمن لم يستجب لله ورسوله إذا دعاه حال بينه وبين قلبه وإرادته فلا يمكنه الاستجابة بعد ذلك، **كما قال تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال: ٢٤)

فعلى الإنسان أن يستغل الأوقات في فعل الطاعات، ولا يتكاسل عنها فيفوته الأجر، ولا يستدرك ما فاته من الوقت.

يقول الحسن البصري –رحمه الله–:

" ما مر يوم على ابن آدم إلا قال له: يا ابن آدم! إني يوم جديد، وعلى ما تعمل شهيد وإذا ذهبت عنك لم أرجع إليك، فقدم ما شئت تجده بين يديك، وأخر ما شئت فلن يعود أبدًا إليك ".

فعمر الإنسان لا يقدر بثمن فلو أنفق الإنسان جميع ما يملك على أن يسترجع لحظة واحدة ما استطاع ولذلك كان السري السقطي –رحمه الله– يقول:" إذا فاتني جزء من وردى لا يمكنني أن أقضيه أبدًا ".

وكان ابن رجب –رحمه الله– يقول:

" أيام العافية غنيمة باردة، وأوقات السلامة لا تشبهها فائدة، فتناول ما دامت لديك المائدة، فليست الساعات الذاهبات بعائدة ". اهـ.

فلا ترج أخي الحبيب فعل الخير لغد، لعل غدًا يأتي وأنت فقيد

٦- الاستمرار على العمل الصالح وعدم الانقطاع:

من أسباب القوة والنشاط للخير المداومة على العمل الصالح، ولو قل وعدم الانقطاع عنه، وهذا من أحب الأعمال إلى الله تعالى.

فقد أخرج الإمام مسلم عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله ﷺ:

" أَحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ أدْومُها وإن قَلَّ ".

وفي رواية عند البخاري عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: " سُئل رسول الله ﷺ أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله؟ قال:" أَدْوَمُها وإنْ قَلَّ ".

وفي رواية في الصحيحين عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: " وكان أحب الدِّين إليه ما داوم عليه صاحبه ".

وفي الصحيحين أيضًا عن عبد الله بن عمرو –رضي الله عنهما– قال: قالَ لي رَسولُ اللَّهِ ﷺ:

" يا عَبْدَ اللَّهِ، لا تَكُنْ مِثْلَ فُلانٍ؛ كانَ يَقُومُ اللَّيْلَ، فَتَرَكَ قِيامَ اللَّيْلِ!".

وكان النبي ﷺ لا ينقطع عن العمل حتى في مرضه أو كسله.

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود أن عائشة –رضي الله عنها– قالت لعبدَ اللهِ بنَ أبي قيسٍ: " لاَ تدع قيامَ اللَّيلِ فإنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كانَ لاَ يدعُهُ وَكانَ إذا مرِضَ أو كسلَ صلَّى قاعدًا ".

(صحيح أبي داود: ١٣٠٧)

فهذه الأدلة كلها تدل على أنه ينبغي أن يستمر العبد على الخير الذي هو عليه، فإن لم يزد فيه فلا ينقص منه، وقد كان النبي ﷺ يستعيذ من الحور بعد الكور، أي: من النقصان بعد الزيادة.

وقد حذر النبي ﷺ من الفتور والكسل في الطاعة فهذا يؤدى إلى التهاون فيها والتأخر عنها

فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ **أنَّ النَّبيَّ ﷺ رأى في أصحابِه تأخُّرًا ، فقال لهم:**

" تقدَّموا فأتمُّوا بي، وليأتمَّ بكم مَن بعدَكم، ولا يزالُ قومٌ يتأخرونَ حتَّى يُؤخِّرَهم اللهُ عزَّ وجلَّ ".

قال النووي-رحمه الله- كما في" شرح مسلم ٤/٣٠٤":

" **يتأخرون** " أي عن الصفوف الأول، حتى يؤخرهم الله عن رحمته وعظيم فضله ورفع المنزلة وعن العلم ونحو ذلك.

وقال القاضي عياض -رحمه الله-:

يحتمل أن يكون تأخرهم في العلم وفي السبق، وفي المنزلة عنده ". اهـ. (إكمال المعلم: ٢/ ٣٥١)

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- كما في" شرح رياض الصالحين: ٣/ ٢٧٦":

" والإنسان كلما تأخر عن الصف الأول أو الثاني أو الثالث ألقى الله في قلبه محبة التأخير في كل عمل صالح والعياذ بالله ". اهـ.

فعلى الإنسان أن يبادر إلى فعل الطاعات وإن قلَّت، ولا ينقطع عنها ويستمر عليها.

وقد كان النبي ﷺ يبايع أصحابه على السمع والطاعة في النشاط والكسل:

فقد أخرج الإمام أحمد من حديث جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال: **" تُبايِعوني على السَّمعِ والطاعةِ في النَّشاطِ والكَسَلِ، وعلى النَّفَقةِ في العُسْرِ واليُسْرِ، وعلى الأمْرِ بالمَعْروفِ، والنَّهْيِ عن المُنكَرِ، وعلى أنْ تَقولوا في اللهِ لا تَأخُذُكم فيه لَومةُ لائِمٍ، وعلى أنْ تَنصُروني إذا قَدِمْتُ يَثْرِبَ، فتَمْنَعوني ممَّا تَمنَعون منه أنفُسَكُم وأزْواجَكُم وأبْناءكُم ولكم الجَنَّةُ، فقُمْنا نُبايِعُه ".**

وفي الصحيحين من حديث عبادة ﷺ قال: **" بَايَعْنَا رَسولَ اللهِ ﷺ علَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ في العُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وعلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وعلَى أَنْ لا نُنَازِعَ الأمْرَ أَهْلَهُ، وعلَى أَنْ نَقُولَ بالحَقِّ أَيْنَما كُنَّا، لا نَخَافُ في اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ ".**

٧- اتباع السنة عند إصابته بكسل أو فتور:

فالإنسان منا ربما يعتريه كسل أو فتور في أثناء سيرة إلى الله تعالى، ومن أصيب بهذا فينبغي أن يكون كسله وفتوره إلى سنة، ولا ينبغي أن ينقطع بالكلية؛ فهذا هو الضياع والهلاك.

فقد خرج الإمام أحمد وابن حبان عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: " **إنَّ لِكُلِّ عملٍ شِرَّةً، ولِكُلِّ شِرَّةٍ فترةٌ، فمنْ كان فترتُهُ إلى سنتي فقدِ اهتدى، ومَنْ كانَتْ إلى غيرِ ذَلِكَ فقدْ هَلَكَ** ". ***وفي رواية:*** " **فقد ضل** ". (صحيح الجامع: ٢١٥٢)

يقول ابن القيم -رحمه الله- كما في" مدارج السالكين":

وفي هذه الفترات والغيوم والحجب التي تعرض للسالكين من الحكم ما لا يعلم تفصيله إلا الله، ومن الحكم التي تظهر من هذه الفترات والغيوم والحجب أنه يتبين الصادق المحب من المدعى الكذاب، وهذا الأخير ينقلب على عقبيه، ويعود إلى طبيعته بعد انكشاف الحجب فتراه محبًا لنفسه، متبعا لهواه، أما الصادق فيعالج نفسه ويجاهد ويصابر ويرابط فينتظر الفرج ولا ييأس من روح الله، وهذا على الخير. اهـ.

وقد قال النبي ﷺ عن هذا الصنف: " **مَا مِنَ الْقُلُوبِ قَلْبٌ إِلَّا وَلَهُ سَحَابَةٌ كَسَحَابَةِ الْقَمَرِ بَيْنَمَا الْقَمَرُ مُضِيءٌ إِذْ عَلَتْهُ سَحَابَةٌ فَأَظْلَمَ إِذْ تَجَلَّتْ عَنْهُ فَأَضَاءَ** ". (السلسلة الصحيحة: ٢٢٦٨)

فإذا انقشعت سحابة القلب عمن كان فتوره إلى السنة، فإنه سرعان ما يعود إلى حدته ونشاطه، وإلى سابق عهده.

أما الصنف الآخر الذي كان فتوره إلى معصيته فإذا انقشعت سحابة قلبه بعد الفتور فإنه يظل في فتوره ولهوه وغيه وسكونه، ومعصيته، وها هو الهلاك بعينه الذي أخبر عنه النبي ﷺ.

فقد أخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو- رضى الله عنهما- قال:

ذُكر لرسول الله ﷺ رجال يجتهدون في العبادة اجتهادًا شديدًا! فقال: تلك ضراوة الإسلام وشرته، ولكل ضراوة شره، ولكل شره فترة، فمن كانت فترته إلى اقتصاد وسنة فنعما هو، ومن كانت فترته إلى المعاصي فقد هلك ". (قال شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره).

يقول ابن القيم -رحمه الله-:

تخلل الفترات (الفتور) للسالكين أمر لابد منه، فمن كانت فترته إلى مقاربة وتسديد، ولم تخرجه من فرض، ولم تدخله في محرم رجى له أن يعود خيرا مما كان ". اهـ.

ويقول على بن أبي طالب رضي الله عنه: " **النفس لها إقبال وإدبار، فإذا أقبلت فخذها بالعزيمة والعبادة، وإذا أدبرت فأقصرها على الفرائض والواجبات** ". اهـ.

٨- مجاهدة النفس، والإقبال على الطاعة:

أما بالنسبة لمجاهدة النفس:

فمما لا شك فيه أن النفس البشرية أمارة بالسوء؛ **كما قال تعالى على لسان امرأة العزيز:** ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (يوسف:٥٣) فالآية دلت على أن أكثر النفوس نزاعة للشهوة، ميالة للهوى، تأمر بالسوء ولذلك فهي تحتاج إلى مجاهدة، وقد بين أبن القيم –رحمه الله– طرق مجاهدة النفس.

فقال –رحمه الله– كما في" زاد المعاد ٣/١٠ ": وجهاد النفس أربع مراتب:

أحداها: أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين.

الثانية: أن يجاهدها على العمل به بعد علمه وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها.

الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات ولا ينفعه علمه ولا ينجيه من عذاب الله.

الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق ويتحمل ذلك كله لله.

فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين فإن السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانيا حتى يعرف الحق، ويعمل به، ويعلمه، فمن علم وعمل وعلم فذاك يدعى عظيما في ملكوت السماوات. اهـ.

والنفس الأمارة بالسوء تميل إلى الملذات، وتأمر باتباع الشهوات فكان لابد من مجاهدتها، وقد وعد الله المجاهدين لأنفسهم إنه معهم، يهديهم ويوفقهم ويقويهم ويعينهم.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٩)

وكلما كان العبد أقوى مجاهدة لنفسه، وأشد إقبالا على طاعة ربه كلما كان أقدر على أعمال البر، وأقوى على طاعة الله، وأشد نشاطا في تحصيل ما يقربه من ربه سبحانه وأبعد عن الكسل في ذلك.

أما الإقبال على الطاعة:

فعلى الإنسان أن يقبل على طاعة ربه سبحانه وتعالى، بعد مجاهدة نفسه وأن يتبع الحسنة بالحسنة وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (محمد: ١٧)

وثبت في صحيح البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن الحبيب النبي ﷺ قال:

" إِنَّ الخَيْرَ لا يَأْتِي إِلَّا بالخَيْرِ".

وحكى القرآن الكريم عن هود -عليه السلام - أنه قال لقومه:

﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴾ (هود: ٥٢)

فتأمل كيف أمرهم بالتوبة والاستغفار وصدق اللجوء إلى الله تعالى، ووعدهم أن يزيدهم الله قوة إلى قوتهم ويعينهم، ويمدهم من فضله.

ومن العبادات التي تمد العبد بالقوة والنشاط هي ذكر الله تعالى:

ففي الصحيحين ومسند الإمام أحمد **أنَّ فاطمةَ- رضيَ اللَّهُ عنها- اشتَكَتْ ما تلقَى مِن أثرِ الرَّحَى في يدِها وأتَى النَّبيَّ ﷺ سبيٌ فانطلقَتْ فلَم تَجِدْهُ ، ولقيتْ عائشةَ -رضيَ اللَّهُ عنها- فأخبرَتْها ، فلمَّا جاءَ النَّبيُّ ﷺ، أخبرَتهُ عائشةُ بمجيءِ فاطمةَ -رضيَ اللَّهُ عنها- إليها، فجاءَ النَّبيُّ ﷺوقد أخذْنا مَضاجعَنا فذَهبنا لنقومَ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: على مَكانِكُما فقعدَ بينَنا، حتَّى وجدتُ بردَ قدمَيهِ على صدري، فقالَ : ألا أعلِّمُكما خيرًا ممَّا سألتُما إذا أخذتُما مضاجعَكُما أن تُكَبِّرا اللَّهَ أربعًا وثلاثينَ، وتُسبِّحاهُ ثلاثًا وثلاثينَ، وتحمداهُ ثلاثًا وثلاثينَ، فَهوَ خيرٌ لَكُما مِن خادمٍ ".**

ذكر بعض أهل العلم أنه يستفاد من قوله " **أعلِّمُكما خيرًا ممَّا سألتُما** " أن الذي يلازم ذكر الله يعطى قوة أعظم من القوة التي يعملها له الخادم، أو تسهل الأمور عليه بحيث يكون تعاطيه اموره أسهل من تعاطى الخادم لها" (انظر فتح الباري: ٩/ ٥٠٦)

تنبيه

الإنسان عندما يذكر الرحمن فليذكره بنشاط وحضور قلب ويجتنب ما يلهيه ويكسله وقد أمر الله تعالى موسى وأخاه هارون بعدم التكاسل في الذكر.

قال الله تعالى لموسى-عليه السلام-: ﴿ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾ (طه: ٤٢)

قال ابن عباس -رضي الله عنهما- في معنى **(ولا تنيا)** أي: لا تبطئا.

وقال ابن زيد: الواني: هو الغافل المفرط.

يقال: وني فلان في هذا الأمر: أي ضعف.

والونا: الفترة في الأعمال والأمور.

فذكرُ الله تعالى لابد أن يكون بنشاط وهمّة، وإذا كان الأمر بعدم التكاسل عن الذكر والغفلة أمر منصرف إلى نبي من أولي العزم من الرسل، فمن باب أولى أن يتوجه هذا الكلام إلى من هو دونه في المنزلة، وأحوج منه إلى الموعظة.

٩- مطالعة قصص الأنبياء وسير العلماء:

فالنظر في قصص الأنبياء ومن كان على نهجهم من العلماء الذين أفنوا أعمارهم في طاعة الله يبعث في النفس الاجتهاد في العمل وترك الكسل، ويجعل الإنسان دائما متقد العزم، متوهج البصيرة، عالي الهمة.

فالقراءة في سير الصالحين تسمو بالروح وتجعلها تطوف حول العرش، بخلاف من يصاحب الكسالى فإن روحه تحوم حول الحش (النجاسات).

فزاحم أخي الحبيب بكتفيك قوافل العظماء المجددين من السلف والخلف حتى يوقد في قلبك الهمة في زمن الغفلة.

وقد قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ (الأنعام : ٩٠)

وأفضل من تهتدى بهديه وتقتفي أثره هو الحبيب النبي ﷺ، لما لا. **وقد قال تعالى:**

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٢١)

والنبي ﷺ كان عمله ديمة (أي لا ينقطع)، وكان أحب العمل إلى رسول الله ﷺ الذي يداوم عليه صاحبه، وكان إذا عمل عملا أثبته، وكان لا يدع قيام الليل أبدًا، فإذا مرض أو كسل صلى قاعدًا، وكان إذا مشى كأنما ينحدر من صبب، (وهي مشية أصحاب الهمم)، وإذا فرغ من دعوة الناس بالنهار نصب قدميه لربه بالليل، وقد قال تعالى مخاطبًا له **(فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ)** أي بعد الفراغ من المهمات فعليك بطول الركعات فالواجبات لا تنتهي، والمهام لا تنقضي.

فاجعل عينك على الحبيب النبي ﷺ فهو الميزان الأكبر وعليه تقاس الأمور فقراءة سيرته العطرة، تشحذ الهمم، وتسمو بالإنسان إلى القمم، وتطرد عنه الفتور والكسل.

وكذا قراءة سير من سلف من أهل الهمم العالية:

وها هو الإمام المبارك عبد الله بن المبارك صاحب الهمة العالية والنفس الزكية صلى مرة مع أصحابه، فقالوا له: لِمَ لا تجلس معنا؟ قال: أذهب مع الصحابة والتابعين، فقيل: ومن أين الصحابة والتابعون؟ قال: أذهب أنظر في علمي فأدرك آثارهم وأعمالهم.

وقد كان الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول في تعداد محامد الصحابة وفضلهم، ووجوب التأسي بأفعالهم: **" من كان منكم متأسيًا؛ فليتأسَّ بأصحاب رسول الله ﷺ فإنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، وأقومها هديًا، وأحسنها حالًا، قومًا اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه، فاعرِفوا لهم فضلهم واتَّبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم ".**

(رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: ٢/ ٩٧ وفيه انقطاع).

١٠- مجالسة المجتهدين:

مر بنا أن من أسباب الكسل مجالسة الكسالى والمفرطين فإن مجالستهم عمى للقلوب، ومرض يصيب الهمم فيوهنها، فمن أراد النجاة فلينأ بنفسه عن مصاحبة هؤلاء الكسالى، وعليه بمصاحبة ومجالسة المجتهدين أصحاب الهمم العالية، فهذا من أعظم ما يطرد الكسل والأمر، **كما قيل:**

أنت بالنـاس تقـاس	بالذي اخترت خليلًا
فاصحب الأخيار تعلو	وتنل ذكـرًا جميـلًا
صحبه الخامل تكسو	مـن يواخيـه خمولًا

وقيل أيضًا:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه	فكـل قـريـن بالمقـارن يقتـدى
إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم	ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

١١- استنهاض الهمة، والسعي لطلب العلم:

يقول ابن القيم -رحمه الله- كما في" كتابه مفتاح دار السعادة: ١/ ٤٦، ٤٧":

اعلم يا أخي أن الله تعالى لما اقتضت حكمته إخراج آدم وذريته من الجنة؛ أعاضهم أفضل منها وهو ما أعطاهم من عهده [١]، الذي جعله سببًا موصلًا لهم إليه، وطريقًا واضحًا بيّن الدلالة عليه، من تمسك به فاز واهتدى، ومن أعرض عنه شقي وغوى، ولما كان هذا العهد الكريم، والصراط المستقيم، والنبأ العظيم لا يوصل إليه أبدا إلا من باب العلم والإرادة فالإرادة باب الوصول إليه، والعلم مفتاح ذلك الباب المتوقف فتحه عليه.

وكمال كل إنسان إنما يتم بهذين النوعين : همة ترقيه، وعلم يُبصره ويهديه فإن مراتب السعادة والفلاح إنما تفوت العبد من هاتين الجهتين، أو من إحداهما إما أن لا يكون له علم بها فلا يتحرك في طلبها، أو يكون عالما بها ولا تنهض همته إليها، فلا يزال في حضيض طبعه محبوسًا، وقلبه عن كماله الذي خلق له مصدودًا منكوسًا، قد أسام نفسه مع الأنعام، راعيًا مع الهمل، واستطاب لقيمات الراحة والبطالة واستلان فراش العجز والكسل، لا كمن رُفع له علم فشمر إليه، وبورك له في تفرده في طريق طلبه فلزمه واستقام عليه، قد أبت غلباتُ شوقه إلا الهجرة إلى الله ورسوله ". اهـ.

١- وهو قوله تعالى: (قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة:٣٨)
وفى الآية الأخرى قال تعالى: قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى)
(طه: ١٢٣-١٢٦)

ويقول ابن القيم -رحمه الله- أيضًا في" مفتاح دار السعادة: ١/ ٣٧٣":

أعظم الأسباب التي يحرم بها العبد خير الدنيا والآخرة، ولذة النعيم في الدارين، ويدخل عليه عدوه منها: هو الغفلة المضادة للعلم، والكسل المضاد للإرادة والعزيمة، هذان أصل بلاء العبد وحرمانه منازل السعداء، وهما من عدم العلم. اهـ.

١٢- تقوية محبه الله في القلب:

فمحبة العبد لله تقتضي محبة ما يحب الله تعالى، ومحبة ما يعين على حبه ويوصل إلى رضاه وقربه، ومن وسائل تقوية محبة الله في القلب:

أ- محبة ومتابعة وطاعة النبي ﷺ:

يقول الحسن البصري-رحمه الله-: كان ناس على عهد النبي ﷺ يقولون: يا رسول الله، إنا نحب ربنا حبًّا شديدًا، فأحب الله أن يجعل لحبه علامة، **فأنزل الله تبارك وتعالى:** **﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** (آل عمران: ٣١)

ب- كثرة ذكر الله -عز وجل-:

فالمحب لله لا يفتر لسانه عن ذكر الله – فمن أحب شيئًا أكثر من ذكره – والقلوب كالقدور، وألسنتها مغارفها، فإذا امتلأ القلب بحب الله تعالى، تحرك اللسان بذكره، وانبعثت الجوارح بطاعته.

جـ- الاجتهاد في الطاعة والخدمة والتنعم بها:

فالنبي ﷺ كان يَقومُ مِن اللَّيلِ حتَّى تَتورَّمَ وتَنتفِخَ قَدَماهُ، ولَمَّا سُئِل عن سَببِ هذا الاجتهادِ وقد غَفَرَ اللهُ له ذَنْبَه، قال: أفلا أكونُ عَبْدًا شَكورًا؟".

والحديث رواه البخاري ومسلم من حديث المغيرة بن شعبة ؓ قال: **قَامَ النبيُّ ﷺ حتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ، فقِيلَ له: غَفَرَ اللَّهُ لكَ ما تقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ، قالَ: أفلا أكُونُ عَبْدًا شَكُورًا.**

وقال بعضهم: وكن لربك ذا حبٍّ لتخدمه إن المحبين للأحباب خدام

د- ايثار ما يحبه الله على ما تهواه النفس وتحبه:

وهذا يجعل النفس يستلذ مشاق العمل، وتجتنب اتباع الهوى، وتعرض عن الدعة والكسل، ولا تزال مواظبة على طاعة الله، متقربة إليه بالنوافل، ساعية لرفع الدرجات.

قال ابن المبارك-رحمه الله-:

تعصي الإله وأنت تزعم حُبَّهُ هذا لَعَمْري في القياسِ شنيعُ
لـوكان حُبُّك صادقًا لأطعتـهُ إنَّ المُحبَّ لِمَن يُحبُّ مُطيعُ

وقال سهل-رحمه الله-: " علامة الحب (أي حب الله) إيثاره على نفسك ".

هـ- موافقة الحبيب في المشهد والمغيب:

سئل ذو النون المصري متى أحب ربي؟ قال: إذا كان ما يبغضه عندك أمرّ من الصبر.

- ***وقال بشر بن السري:*** وليس من علامة الحب أن تحب ما يبغض حبيبك.

- ***وقال يحيى بن معاذ:*** ليس بصادق من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدوده.

و- محبة كلام الله -عز وجل- والتلذذ بسماعه:

قال ابن مسعود ﷺ:" من سره أن يعلم أنه يحب الله، فليعرض نفسه على القرآن، فإن أحب القرآن فإنه يحب الله ".

وقال أحمد بن أبي الحواري-رحمه الله-: سمعت ابن عيينة يقول:" لا تبلغوا ذروة هذا الأمر حتى لا يكون شيء أحب إليكم من الله، ومن أحب القرآن فقد أحب الله ".

وقال عروة البارقي-رحمه الله-: حب الله؛ حب القرآن، وحب رسول الله ﷺ؛ العمل بسنته.

وهناك من الوسائل العديدة لتقوية محبة الله في القلب لا يتسع هذا المقام لذكرها وما سبق إشارة إلى بعضها.

١٣- وضوح وتحديد الهدف[1]:

فليس على الإنسان أن يحدد ويوضح هدفه فقط، بل عليه أن يكون هدفه شامخًا، وطموحه بلا حدود فهذا يطرد الكسل، ويستنفر الطاقات الكامنة، فالأهداف السهلة الميسورة لا تُخرج ما في النفس من طاقة، بل تدفع للخمول والكسل. والنبي ﷺ كان يعلم أصحابه معالي الأمور.

فقد أخرج ابن حبان من حديث جابر ﷺ **أن رجلًا سأل النبي ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ أيُّ الجهادِ أفضلُ ؟ قال :" أن يُعقَرَ جوادُك ، ويُهراقَ دَمُكَ".** (صحيح الترغيب: ١٣٦٥)

وفي رواية: **يا رسولَ اللهِ! أيُّ الشُّهداءِ أفضلُ؟ قال:" أنْ يُعقَرَ جوادُكَ، وأنْ يُهْرَاقَ دمُكَ ".**

ولقد وصانا النبي ﷺ فقال: **" إذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس ".**

(رواه الطبراني عن العرباض ﷺ ، وهو في صحيح الجامع ٥٩٢)

وهذا قانون سارٍ فمن أراد أعلى درجات الجنة هناك، لابد له من أعلى درجات البذل هنا، وبقدر التعب تكن الراحة، وبحسب الثمن المدفوع يكن المقام المرفوع، ومن طلب المقام العالي فلابد له من بذل الغالي.

فالغالي ثمن للعالي، أما الكسل فيبعث على التواني، والغرق في الأماني.

وكما قيل: يحاول نيل المجد والسيف مغمدٌ ويأمل إدراك العلا وهو نائم

١- الحرب على الكسل للدكتور خالد أبو شادي - حفظه الله - ص ٤٩.

وقال آخر:

بقدر الجد تكتسب المعالي ومـن طلب العـلا سهر الليالي

تـروم العـز ثـم تنام ليلًا يغوص البحرَ من طلب اللآلئ

وكل من ليس له هدف واضح في الحياة فقد أسلم زمام أمره لعدوه ليحدد له هو مصيره، وهذا حال كثير من الشباب عندما ضاعت أهدافه فأخذ يترنح ولا يدري أين الطريق، وأصبح حب فتاة أسمى غاياته، وسماع أغنية أو الفوز ببطولة أقصى طموحاته، فهؤلاء الشباب غاب عنهم الأهداف والغايات فلا يدركون ما يريدون فيفترون ويكسلون.

وقفة:

في ملاحة السفن يدرك قائد السفينة أنه لا يكفيه أن يقلع في أتجاه هدفه بل يجب عليه مراجعة مساره على مدار الرحلة، وكذلك صاحب الهدف فإن عدم متابعة الوصول إلى الهدف يجعل الوصول إليه محتملًا وليس أكيدًا.

وضوح الهدف:

فلابد من وضوح الهدف، وقد ضرب أنتوني روبنز مثالًا لمن يضع لنفسه هدفًا ويحاول الوصول إليه ومن لا يضيع لنفسه هدفًا، كحال من يلعب بالألعاب التركيبية، حيث يرى الصورة الكبيرة أولًا ثم يشرع في تركيب القطع الصغيرة جنبًا إلى جنب بحسب الصورة التي رآها، فالشخص الذي لا يضع لحياته أهدافًا كمن يُرَكّب القطع الصغيرة دون أن يرى الصورة الأصلية، فهذا سيطول عليه الوقت، وفي النهاية لا يصل إلى المراد.

١٤- محاسبة النفس [١]:

إن المحاسبة لون من ألوان متابعة الهدف، وكلما كانت محاسبة النفس أسرع كان الاستدراك أسهل، وقهر الشيطان أرجى، ورضوان الله أقرب، ذلك أن كسل يوم أو يومين مستدرك إذا رجع الإنسان إلى نفسه بالمحاسبة، أما كسل شهر أو شهرين فمعالجته أصعب والتخلص من تبعاته وواجباته المتراكمة ابعد، ولذا كان الأعلى إنجازًا والأكثر همة والأشد عزمًا والأقل كسلًا هو الأكثر محاسبة لنفسه.

فإلى كل كسول ... افتح باب المحاسبة على مصراعيه، وحذار أن تتأخر فيتسع الخرق، ويصعب الاستدراك، وتفشل المحاولات، ويتسلل اليأس ويتمكن الكسل.

١- المصدر السابق: ص٥٥-٧٢.

ومن ثمرات المحاسبة: التوبة.

وهذه الخطوة بمثابة إجراء تصحيحي يهدف به العبد أن يصحح خطأه ويتدارك تقصيره، لأن المعصية تجرح همة العبد وتنال من عزيمته، **كما قال تعالى:**

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾

(آل عمران: ١٥٥)

فالذنب قيدٌ في القلب يكبله عن المسارعة إلى الخيرات، ويعوقه عن الوصول إلى أشرف المهمات، فالغافل هو الذي لا يحاسب نفسه، وهنا تتراكم عليه الذنوب فيمرض القلب، ويغرق صاحبه في بحر الكسل.

لذا كانت التوبة من الذنب أعظم محفز للهمم، وأسهل وسيلة للتخلص من قيود الفتور والوهن.

وقد روى سعيد بن منصور **عن أبي عبيدة بن الجراح ﷺ أنه تنخم في المسجد ليلةً فنسي أن يدفنها حتى رجع إلى منزله، فأخذ شعلة من نار، ثم جاء فطلبها حتى دفنها، ثم قال: الحمد لله الذي لم يكتب عليَّ خطيئة الليلة ".** (فتح الباري: ١/ ٥١٢ للحافظ ابن حجر -رحمه الله-)

وذلك لأن النبي ﷺ قال: " **التفلُ في المسجدِ خطيئةٌ وكفارتُه أن تواريَه** ".

(رواه أبو داود عن أنس ﷺ وهو في صحيح الجامع ٣٠١٦)

فانظر كيف حاسب أبو عبيدة نفسه قبل نومه، ولم يتهاون في أمر تفلة بسيطة، ولم يسترح إلا بعد أن محاها من صحيفة، ثم نسب الفضل في ذلك إلى ربه حين حمده ولم ينسب ذلك لنفسه.

هذه والله همم الكبار، وسمات أصحاب القلوب العظام، لا يستصغرون ذنبًا، ولا يحقرون معروفًا، ولا يتركون لإبليس فرصة يحتفل فيها بإغوائهم، بل يفسدون عليه فرصته بعاجل توبة وتكفير ذنب.

ومن ثمرات المحاسبة: تصحيح المسار.

وهذه الخطوة بمثابة الخطوة الوقائية التي تمنع تكرار الخطأ، فينظر الإنسان في ذنوبه ليعلم من أي باب دخل عليه الشيطان وكيف استدرجه، فيغلق هذا الباب، ولا يسير في نفس الطريق مرة أخرى، لأن نفس المقدمات تقود إلى نفس النتائج.

١٥- تذكر النعم:

استشعار نعم الله سبحانه التي ينعم بها عليك، مما لا طاقة لك بِعَده، ولا قوة لك في إحصائه، مما يدره عليك سحاء الليل والنهار، ويفيضه عليك بالغدو والإبكار.

فإذا نظرتَ بعين المؤمن الشاكر المعتبر إلى ما أمدك الله به من النعم الجليلة الظاهرة والباطنة، وأيقنت أنك فقير أشد الفقر إلى الله: شعرت أنك بحاجة إلى شكر المنعم سبحانه، ليزيدك من واسع فضله، ولا شك أن هذا من أعظم الدوافع للمؤمن الحقيقي على طاعة الرب سبحانه، وكيف يطيب العيش لمتكاسل عن طاعة الله وهو يتقلب في نعمه.

ولو تأملت في أحوال العباد لرأيتهم في غفلة عن شكر المُنعم، إلا من رحم الله.

قال العليم الخبير بعباده: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سبأ: ١٣)

وقال تعالى عن تُوعد إبليسُ لبني آدم: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٧) (ذم الكسل للشيخ عبد الله بن أحمد بن لمح الخولاني – حفظه الله–)

١٦- التبكير للعمل:

فمن أسباب النشاط وحصول البركة التعرض للساعات الأولى في الصباح فمن قام مبكرًا فهو أسعد الناس بدعوة النبي ﷺ.

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي و أبو داود عن صخر بن وداعة الغامدي ﷺ عن النبي ﷺ قال: " **اللَّهمَّ بارِكْ لأمَّتي في بُكورِها** ". (صحيح الجامع :٢٨٤١)

وهذه البركة في كل شيء وفي كل الأعمال من التجارة والزراعة والقراءة والحفظ والسفر والجهاد

ثم قال في تتمة الحديث: " **وَكانَ إذا بَعثَ سريَّةً أو جيشًا بَعثَهُم من أوَّلِ النَّهارِ وَكانَ صخرٌ رجلًا تاجرًا، وكانَ يَبعثُ تجارتَهُ من أوَّلِ النَّهارِ فأثرَى وَكَثُرَ مالُهُ** ". (صحيح أبي داود: ٢٦٠٦)

حتى أنه جاء في مسند الإمام أحمد: " **أن صخرًا كثر ماله؛ حتى كان لا يدري أين يضعه** ".

ولو لم يستيقظ الإنسان مبكرًا قام خبيث النفس كسلان، ولمَّا كثر السهر أمام القنوات الفضائية، وانتشرت المقاهي والنوادي فأصبح السهر الطويل والاستيقاظ المتأخر سبب في ضياع وذهاب البركة وقلة الإنتاج ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فاجتهد أخي الحبيب اجتهاد المجدين وأخلع عنك ثوب الكسل المهين.

١٧- شغل الوقت وعدم ترك أوقات فراغ:

لا تترك أوقات فراغ في حياتك، فإنها نقاط ضعف عليك، بل أملأ وقتك بالأعمال، ولو المباحة، فإن النفس سريعة الميل إلى الدعة والراحة، مع قوة الوازع، وضعف الدافع فلو تمكنت منها عشر مرار، وتمكنت منك مرة: هدمت آحادُها عشراتِك.

قال ابن الجوزي-رحمه الله- كما في" صيد الخاطر ص٢٥":

" ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته فلا يضيع منه لحظة في غير قُربة، ويقدِّم الأفضل فالأفضل من القول والعمل، ولتكن نيته في الخير قائمة من غير فتور بما لا يعجز عنه البدن من العمل. فإذا علم الإنسان وإن بالغ في الجد بأن الموت يقطعه عن العمل عمل في حياته ما يدوم له أجره بعد موته، فإن كان له شيء من الدنيا وقف وقفًا وغرس غرسًا وأجرى نهرًا، ويسعى في تحصيل ذريَّة تذكر الله بعده فيكون الأجر له، أو أن يصنف كتابًا من العلم فإن تصنيف العالم ولده المخلد، وأن يكون عاملًا بالخير عالمًا فيه فينقل من فعله ما يقتدى الغير به، فذلك الذي لم يمُت ". اهـ.

وقد قيل: الجَدُّ في الجَدِّ والحرمانُ في الكسل فانْصَبْ تُصِبْ عن قريبٍ غايةَ الأملِ

١٨- كثرة تلاوة القرآن الكريم، وملازمة كتب السنة:

ومما يذهب الكسل، ويبعث القوة والنشاط في طاعة الله: كثرة تلاوة القرآن الكريم، ففيه من العظة والدافع، والزاجر، ما يكفي، **كما قال تعالى:** ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

(سورة ص: ٢٩)

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت: ٥١)

لا سيما الآيات التي تصف النار وما فيها من الجحيم، وتصف الجنة وما أعد الله لأهلها من النعيم المقيم، وهكذا: مطالعة السنة النبوية، والأحاديث التي فيها الترغيب والترهيب ووصف الجنة، وما فيها من الحبور، والحور، والدور، والقصور، والنعيم المقيم، وفي الجانب الآخر الأحاديث التي تصف النار وما فيها من العذاب الأليم، عافانا الله من ذلك وجعلنا من الناجين ".

(ذم الكسل للشيخ عبد الله بن أحمد بن لمح الخولاني –حفظه الله– ص١١٨).

١٩ - الاعتماد على النفس:

الاعتماد على النفس وعدم الركون إلى الآخرين في تحصيل الأشياء، وكان النبي ﷺ ربما أخذ البيعة على بعض أصحابه ألا يسألوا أحدًا شيئا فبايعوه على ذلك وكان الواحد منهم يسقط سوطه فلا يسأل أحدًا يعطيه، فإن من اعتاد سؤال الآخرين، وطلب معاونتهم؛ صعب عليه ترك ذلك، وغلب عليه الكسل، حتى ربما يسأل من يناوله حاجته وهى عند رأسه، وهكذا في جانب العلوم الدينية العلمية والعملية فتجد من اعتاد التقليد ترقى به الكسل حتى يوجب التقليد ويحرم الاجتهاد، ومن اعتاد الرجوع إلى المصادر والنظر بنفسه؛ سهل عليه ذلك، وأصبح سجية له، فيجيب بنفسه عن أغلب ما يُشكل عليه، حتى يصبح مرجعًا لغيره. فالاعتماد على النفس أمر مهم جدًا، وهذا ينبغي أن يتعود عليه الإنسان، وينبغي أن يُعَود عليه الصغير حتى لا يألف الكسل ". (المصدر السابق ص ١١٩)

قال ابن القيم –رحمه الله– كما في" تحفه المودود ص١ ٢٤":

" وينبغي لوليِّه– أي ولي الصغير– أن يجنبه الأخذ من غيره غاية التجنب، فإنه متى أعتاد الأخذ صار له طبيعة ونشأ بأن يأخذ، لا بأن يعطى، ويعوِّده البذل والإعطاء، وإذا أراد الولي أن يعطى شيئًا أعطاه إياه على يده، ليذوق حلاوة الإعطاء، ويجنبه الكذب والخيانة أعظم مما يجنبه السم الناقع، فإنه متى سهل له سبيل الكذب والخيانة أفسد عليه سعادة الدنيا والآخرة وحرمه كل خير، ويجنبه الكسل والبطالة والدعة والراحة، بل يأخذه بأضدادها ولا يريحه إلا بما يجم نفسه وبدنه للشغل، فإن للكسل والبطالة عواقب سوء ومغبة ندم، وللجِدِّ والتعب عواقب حميدة: إما في الدنيا، وإما في العقبى، وإما فيهما. فأروح الناس: أتعب الناس، وأتعب الناس: أروح الناس، فالسيادة في الدنيا والسعادة في العقبى لا يوصل إليها إلا على جسر من التعب، قال يحيى بن أبي كثير: لا ينال العلم براحة الجسم. ويعوده الانتباه آخر الليل فإنه وقت قسم الغنائم وتفريق الجوائز فمستقل ومستكثر ومحروم فمتى اعتاد ذلك صغيرًا سهل عليه كبيرًا ". اهـ.

٢٠- تقليل النوم والأكل:

تقليل النوم وذلك بحسب الحاجة، دون إفراط ولا تفريط.

قال ابن الجوزي -رحمه الله- كما في" تلبيس إبليس ص١٦٩":

"وينبغي للإنسان أن يعلم أن نفسه مطيته ولابد من الرفق بها ليصل بها إلى المقصود فليأخذ ما يصلحها وليترك ما يؤذيها من الشبع والإفراط في تناول الشهوات فإن ذلك يؤذى البدن والدين. اهـ.

وقال المناوي-رحمه الله- كما في" فيض القدير: ١/٢١٥":

" ومن كانت همته ما يدخله بطنه: فقيمته ما يخرج من بطنه إذ لا فرق بين إدخال الطعام إلى البطن وبين إخراجه، فهما ضروريان في الجبلة، فكما لا يكون قضاء الحاجة من همتك التي تشغل بها قلبك، فلا ينبغي كون تناول الطعام من همتك التي تشغل بها قلبك ". اهـ.

وقال السفاريني-رحمه الله- في" غذاء الألباب: ٢/ ٤٥٣، ٤٥٤":

" واعلم أن الرجل العاقل المراقب لم يقصد بالأكل والشرب التلذذ بل دفع الجوع مما يوافق بدنه ويقويه على الطاعة، فإن قصد الالتذاذ بشيء من المتناولات أحيانا لم يُعب عليه ذلك، وإنما يُعاب عليه الانهماك في ذلك، وهذا ليس من شأن أهل الإيمان، بل شأنهم الإقبال على الله في جميع شؤونهم. اهـ.
والأكل والشرب سلم يتوصلون به إلى التقِّوى على العبادة والطاعة، فإذا أكلوا أو شربوا أو لبسوا أو نكحوا أو فعلوا من نحو هذه الأشياء شيئا فعلوه بهذه النية، وإذا تركوا شيئا من ذلك تركوه لله عز وجل، فيكون فعلهم وتركهم عبادة".

ثم قال-رحمه الله-:

وفي التقرب بترك الشهوات وهجر اللذات فوائد:

منها: كسر النفس فإن الانهماك في اللذات من الأكل والشرب ومباشرة النساء تحمل النفس على الأشر والبطر والغفلة.

ومنها: تخلى القلب للفكر والذكر، فإن تناول الشهوات والانهماك في اللذات قد يقسى القلب ويعميه ويحول بين العبد وبين الذكر والفكر ويستدعى الغفلة، وخلو الباطن من الطعام والشراب ينور القلب ويوجب رقته ويزيل قسوته.

ومنها: الاشتغال بما هو أهم منها، من دراسة العلم والإمعان في تفهمه وتعلمه وتعليمه.

ومنها: الإعراض والنزاهة عن اشتغال القلب بما هو صائر إلى النجاسة فكلما أكثر من ذلك كان حمله للنجاسة أكثر، وغاية الالتذاذ بذلك في مقدار أصبعين أو ثلاثة ثم يستوي طيبه وخبيثه، فمن راقب هذه الحالة ترك الانهماك في اللذات لا محالة. اهـ.

٢١- اليقين بالجزاء:

اليقين بالعوض والجزاء هو سائق النفس البشرية إلى العمل وترك الكسل، واستشعار الأجور العظيمة التي تترتب على الأعمال الصالحة من أعظم الحوافز على الجد في الطاعات، ومعرفة ذلك يزيد في الإقبال على الخيرات، ويبعث على ملازمة أعمال البر.

يقول ابن رجب–رحمه الله–: " ومن لا يعرف ثواب الأعمال ثقلت عليه في جميع الأحوال ".
(الجامع لتفسير ابن رجب: ٢/١٥٨)

- **فمعرفة ثواب وجزاء العمل يمنع من التكاسل عنه.**

يقول ابن الجوزي–رحمه الله–: " من تخايل الثواب خفَّ عليه العمل ". (ذم الهوى ص ٥٩)

وهل يتصور أن يكسل إنسان عن الوضوء بعدما سمع النبي ﷺ يقول: **" مَن تَوَضَّأَ فأحْسَنَ الوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِن جَسَدِهِ، حتَّى تَخْرُجَ مِن تَحْتِ أَظْفَارِهِ ".**(رواه مسلم عن عثمان بن عفان ﷺ)

وفي رواية قال ﷺ: **" إلَّا أنِّي رَأَيْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ تَوَضَّأَ مِثْلَ وُضُوئِي هذا، ثُمَّ قالَ: مَن تَوَضَّأَ هَكَذَا غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ، وكانَتْ صَلَاتُهُ ومَشْيُهُ إلى المَسْجِدِ نَافِلَةً ".**

وهل يتصور أن يكسل إنسان عن أداء ركعتين بعد الوضوء بعدما سمع النبي ﷺ يقول: **" مَن توضَّأَ فأحسنَ الوضوءَ، ثمَّ صلَّى رَكعتينِ يُقبلُ عليْهما بقلبِهِ ووجْهِهِ وجبَت لَهُ الجنَّةُ ".**

(رواه مسلم عن عقبة بن عامر ﷺ)

وهل يتصور أن يكسل إنسان عن الذهاب إلى المسجد لأداء الصلاة بعدما سمع النبي ﷺ يقول:

" مَنْ تَطَهَّرَ في بيْتِهِ ثُمَّ مشى إلى بيتٍ من بيوتِ اللهِ، ليَقْضِيَ فريضَةً مِنْ فرائِضِ اللهِ، كانتْ خطواتُهُ إحداهما تحطُّ خطيئَةً، والأخرى ترفَعُ درجَةً ". (رواه مسلم عن أبي هريرة ﷺ)

وهل يتصور أن يتأخر الإنسان عن الصلاة أو الصف الأول أو الأذان بعد ما سمع النبي ﷺ يقول:

" لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ ما في النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عليه لَاسْتَهَمُوا، ولو يَعْلَمُونَ ما في التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إلَيْهِ، ولو يَعْلَمُونَ ما في العَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُما ولو حَبْوًا ".

والتهجير: هو السير في الهاجرة: وهي شدة الحر، ويدخل فيها المسارعة لحضور الصلوات قبل دخول وقتها.

وانظر إلى ثواب من يأتي يوم الجمعة مبكرًا؛ فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **" مَنِ اغْتَسَلَ يَومَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ، فَكَأنَّما قَرَّبَ بَدَنَةً، ومَن رَاحَ في السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأنَّما قَرَّبَ بَقَرَةً، ومَن رَاحَ في السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ، فَكَأنَّما قَرَّبَ كَبْشًا أقْرَنَ، ومَن رَاحَ في السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، فَكَأنَّما قَرَّبَ دَجَاجَةً، ومَن رَاحَ في السَّاعَةِ الخَامِسَةِ، فَكَأنَّما قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإمَامُ حَضَرَتِ المَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ".**

- **بل انظر إلى ثواب السعي يوم الجمعة**

فقد أخرج الإمام أحمد وأهل السنن وابن خزيمة وابن حبان عن أوس بن أوس ﷺ قال: **" مَنْ غَسَّل يومَ الجمُعةِ واغتَسَل، ثم بكَّر وابتكَر، ومَشى ولم يركَبْ، ودنا من الإمامِ، فاستمَعَ ولم يَلغُ، كان له بكلِّ خُطوَةٍ عملُ سنةٍ أجرُ صيامِها وقيامِها ".** (صحيح أبي داود: ٣٤٥)

أضف لهذا ثواب السعي إلى المسجد وأن له بكل خطوة درجة، وتحط عنه خطيئة، وكذلك تفّضُل صلاة الجماعة على صلاته بمفرده بسبع وعشرين درجة، وإذا وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه. أضف لهذا أن الأذكار بعد الصلاة يغفر بها ما تقدم من الذنوب، والأدلة على ما سبق في الصحيحين وغيرهما.

- **بل أنظر إلى ثواب وفضل الصدقة والتي أخبر عنها النبي ﷺ؛ *فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** **"مَنْ تصدَّقَ بعدْلِ تمرَةٍ [1]مِنْ كسبٍ طيِّبٍ، ولَا يقبَلُ اللهُ إلَّا الطيِّبَ، فإنَّ اللهَ يتقبَّلُها بيمينِهِ، ثُمَّ يُربيها لصاحبِها، كما يُرَبِّى أحدُكم فَلُوَّهُ [2] حتى تكونَ مثلَ الجبَلِ ".**

- **أما عن ثواب الصيام؛ *فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدريﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:***

" ما من عبدٍ يصومُ يومًا في سبيلِ اللَّهِ، إلَّا بعَّدَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ بذلِكَ اليومِ وجهَهُ عنِ النَّارِ سبعينَ خريفًا ".

وفي رواية عند النسائي: **" من صامَ يومًا في سبيلِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ باعدَ اللَّهُ منهُ جَهَنَّمَ مَسيرةَ مائةِ عامٍ ".** (صحيح النسائي: ٢٢٥٣)

وفي رواية عند الترمذي: **" من صامَ يومًا في سبيلِ اللَّهِ جعلَ اللَّهُ بينَهُ وبينَ النَّارِ خَندقًا كما بينَ السَّماءِ والأرضِ ".** (صحيح الترمذي: ١٦٢٤) ومن المعلوم أن المسافة بين السماء والأرض خمس مائة عام ناهيك عن صيام يوم عاشوراء فإن الله يكفر به سنة قبله، وصيام يوم عرفة؛ يكفر الله سنة قبله، وسنة بعده، وهذا في صيام النافلة، أما في صيام الفرض فلا يعلم مقدار ثوابه إلا الله، وهو القائل سبحانه: **"إلَّا الصَّوْمَ؛ فإنَّه لي، وَأَنَا أَجْزِي به ".** (رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا) .

وغير ذلك من الأعمال التي لا نستطيع أن نحصي فضلها في هذا المقام والتي صنف العلماء في خصوص هذا الموضوع مصنفات [3]. والحاصل أن معرفة ثواب الأعمال يجعل الإنسان يقبل عليها بهمة ونشاط. أما من أصابه زكام الكسل، فتجده دائمًا في خمول وإعراض، وتجده يكسل عن الطاعات، ولا يكسل عن فعل السيئات.

فأين العمل يا مغرور؟ بل هو سرور بغرور، وسهو في لهو، نعوذ بالله من الخذلان.

١- بعدل تمرة: أي بقيمتها.
٢- الفلو: المهر، أما الفصيل فهو ولد الناقة إلى أن يفصل عن أمه.
٣- كالحافظ شرف الدين عبد القوي الدمياطي (٦١٣-٧٠٥ هـ) كتابه:" المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح" مطبوع، " والترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك" لابن شاهين (٢٩٧- ٣٨٥ هـ) ، " وفضائل الأعمال": للحافظ محمد بن عبد الواحد المقدسي (٥٦٩-٦٤٣ هـ) وغيرها.

٢٢- الشعور بالمسئولية:

الشعور بالمسئولية ومسيس حاجة نفسه وأسرته ومجتمعه وأمته الإسلامية إلى أمور عظيمة تحتاج إلى جهود جبارة متضافرة هو أحد المخاطبين بها، لأنه فرد من أفرادها، ولا يحقرن أحد نفسه، فإن أي جهد يقوم به في الخير قد ينفع الله به، فالمسلمون يطلبونه: إمامًا أو خطيبًا أو معلمًا أو مؤلفًا أو قاضيًا أو طبيبًا أو مهندسًا أو مخترعًا.....الخ.

فإذا شعر المسلم– الذي في قلبه حياة إيمانية– بذلك، لم يأل جهدًا لسد حاجة من حاجات المسلمين، وثغرة من ثغراتهم والله المستعان. (ذم الكسل للشيخ عبد الله بن أحمد بن لمح الخولاني – حفظه الله– ص١٢٠)

٢٣- تنوع العبادات:

فالملل أول طريق الكسل، وطرد الملل إنما يكون بتنوع الطاعات، وكلما تنوعت الطاعة، كلما انطرد الملل، وتباعد الكسل، فإذا غزا المللُ القلبَ، فعلى الإنسان أن يرحل إلى طاعة أخرى يأنس بها، وهكذا يعيش حياته متنقلا بين ربوع القربات وألوان الحسنات.

وليلجأ الإنسان عند شعوره بالكسل إلى العبادة المحبوبة لديه، لكي يواجه بها هجمة الكسل.

٢٤- الدعاء بالثبات:

وعليك أن تسأل الله الثبات على الطاعة وعدم الانقطاع.

فقد ثبت في معجم الطبراني الكبير من حديث شداد بن أوس ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ :

" يا شدَّادُ بنُ أوسٍ! إذا رأيتَ النَّاسَ قد اكتنزوا الذَّهبَ والفضَّةَ؛ فاكنِز هؤلاء الكلماتِ: اللَّهمَّ إنِّي أسألُك الثَّباتَ في الأمرِ، والعزيمةَ على الرُّشدِ، وأسألُك موجِباتِ رحمتِك، وعزائمَ مغفرتِك، وأسألُك شُكرَ نعمتِك، وحُسنَ عبادتِك، وأسألُك قلبًا سليمًا، ولسانًا صادقًا، وأسألُك من خيرِ ما تعلَمُ، وأعوذُ بك من شرِّ ما تعلَمُ، وأستغفرُك لما تعلَمُ؛ إنَّك أنت علَّامُ الغيوبِ ". (السلسلة الصحيحة: ٣٢٢٨)

وهذه الكلمات خير ما يكنزه الإنسان كما قال الحبيب العدنان ﷺ لشداد بن أوس ﷺ، وكان أول ما أوصى في هذه الدعوات:" **اللَّهمَّ إنِّي أسألُك الثَّباتَ في الأمرِ**"، وكأن الثبات مفتاح كل خير ومقدمة كل صلاح، وفلاح، ونجاح.

لأن ضد الثبات الانقطاع وأول طريق الانقطاع الكسل، فمن سلك طريق الكسل أخطأ منازل السالكين

ولذلك كان رسولُ اللهِ ﷺ يُكثِرُ أن يقولَ: " **يا مقلِّبَ القلوبِ ثَبِّتْ قلبي على دينِك** ".

(رواه الإمام أحمد والترمذي من حديث أنس بن مالك ﷺ)

٢٥- التعوذ بالله من الكسل:

وقد مر بنا أن النبي ﷺ كان يكثر من الاستعاذة من الكسل وعند البخاري ومسلم من حديث أنس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يقول: **" اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِنَ العَجْزِ والكَسَلِ، والجُبْنِ والبُخْلِ والهَرَمِ، وأَعُوذُ بكَ مِن عَذابِ القَبْرِ، وأَعُوذُ بكَ مِن فِتْنَةِ المَحْيا والمَماتِ ".**

وفي رواية عند البخاري من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: كان النبي ﷺ يقول: **" اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِنَ الكَسَلِ والهَرَمِ، والمَغْرَمِ والمَأْثَمِ، اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِن عَذابِ النَّارِ وفِتْنَةِ النَّارِ، وفِتْنَةِ القَبْرِ وعَذابِ القَبْرِ، وشَرِّ فِتْنَةِ الغِنَى، وشَرِّ فِتْنَةِ الفَقْرِ، ومِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطايايَ بماءِ الثَّلْجِ والبَرَدِ، ونَقِّ قَلْبِي مِنَ الخَطايا كما يُنَقَّى الثَّوْبُ الأبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، وباعِدْ بَيْنِي وبيْنَ خَطايايَ كما باعَدْتَ بيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ ".**

وفي رواية كان يقول ﷺ: **" اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِنَ الهَمِّ والحَزَنِ، والعَجْزِ والكَسَلِ، والجُبْنِ والبُخْلِ، وضَلَعِ الدَّيْنِ [١]، وغَلَبَةِ الرِّجالِ ".**

فاستعاذ النبي ﷺ في هذا الحديث من ثمانية أشياء كل اثنين منها قرينان. **فالهم والحزن قرينان:** وهما من آلام الروح ومعذباتها، والفرق بينهما أن الهم توقع الشر في المستقبل والحزن هو التألم على حصول المكروه في الماضي. **والعجز والكسل قرينان:** فالعجز يستلزم عدم القدرة على الشيء، والكسل يستلزم عدم إرادته. **والجبن والبخل قرينان:** لأنهما عدم النفع بالمال والبدن **وضلع الدين وقهر الرجال قرينان:** فهما مؤلمان للنفس معذبان لها، أحدهما: قهر بحق؛ وهو ضلع الدين. والثاني: قهر بباطل؛ وهو غلبة الرجال. وأيضًا ضلع الدين: قهر بسبب من العبد في الغالب، وغلبة الرجال: قهر بغير اختياره.

وأخرج الترمذي عن مسلم بن أبي بكرة -رضى الله عنهما- قال: **سمعَني أبي وأنا أقولُ: اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ منَ الهمِّ والكسَلِ وعذابِ القبرِ. قالَ: يا بُنَيَّ مِمَّن سمعتَ هذا؟ قلتُ: سَمِعْتُكَ تقولُهُنَّ، قالَ: الزَمهنَّ، فإنِّي سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُهُنَّ ".**

ولأهمية الاستعاذة من الكسل، شرع النبي ﷺ الاستعاذة منه في أذكار الصباح والمساء.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: **كانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ إذَا أَمْسَى قالَ:" أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى المُلْكُ لِلَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له قالَ: أُرَاهُ قالَ فِيهِنَّ: له المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهو علَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ ما في هذِه اللَّيْلَةِ وَخَيْرَ ما بَعْدَهَا، وَأَعُوذُ بكَ مِن شَرِّ ما في هذِه اللَّيْلَةِ وَشَرِّ ما بَعْدَهَا، رَبِّ أَعُوذُ بكَ مِنَ الكَسَلِ وَسُوءِ الكِبَرِ، رَبِّ أَعُوذُ بكَ مِن عَذَابٍ في النَّارِ وَعَذَابٍ في القَبْرِ وإذَا أَصْبَحَ قالَ ذلكَ أَيْضًا: أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ المُلْكُ لِلَّهِ ".**

١- ضلع الدين: ثقله حتى يعجز المرء عن سداده.

وفي سنن أبي داود عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: **" دخلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ذاتَ يومٍ المسجدَ فإذا هوَ برجلٍ منَ الأنصارِ يقالُ لَهُ أبو أمامةَ فقالَ: يا أبا أمامةَ! ما لي أراكَ جالسًا في المسجدِ في غيرِ وقتِ الصَّلاةِ؟ قالَ همومٌ لزمتني وديونٌ يا رسولَ اللَّه. قالَ: أفلاَ أعلِّمُكَ كلامًا إذا أنتَ قلتَهُ أذْهبَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ همَّكَ وقضى عنْكَ دينَكَ. قالَ: قلتُ بلى يا رسولَ اللَّه. قالَ: قل إذا أصبحتَ وإذا أمسيتَ اللَّهمَّ إني أعوذُ بِكَ منَ الْهمِّ والحزنِ وأعوذُ بِكَ منَ العجزِ والْكسلِ وأعوذُ بِكَ منَ الجبنِ والبخلِ وأعوذُ بِكَ من غلبةِ الدَّينِ وقَهرِ الرِّجالِ. قالَ ففعلتُ ذلِكَ فأذْهبَ اللَّهُ -عزَّ وجلَّ- همِّي وقضى عنِّي ديني ".**

(إسناده ضعيف)

٢٦- ذكر الموت، وقصر الأمل:

فذكر الموت وقصر الأمل من أشد ما يبعث الهمة في قلوب الغافلين، ويوقظ الخاملين.

جاء في كتاب الزهد للإمام أحمد ص٢٣٦ عن الحسن البصري-رحمه الله- أنه قال:

" ما أكثر عبد ذكر الموت إلا رأى ذلك في عمله، ولا أطال عبد الأمل إلا أساء العمل ".

وصدق والله الحسن البصري فيما قال، فالغفلة عن الموت وطول الأمل يُكسِّل عن العمل ويورث التراخي والتواني ويعقب التشاغل والتقاعس ويخلد إلى الأرض ويميل إلى الهوى، وهذا أمر قد شوهد بالعيان فلا يحتاج إلى بيان، ولا يطلب صاحبه ببرهان، كما أن قصر الأمل يبعث على العمل، ويحيل على المبادرة، ويحث على المسابقة " (انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- رحمه الله-: ٧/١٠)

وجاء في كتاب الزهد للحسن البصري ص٢١ ، وذكر أيضًا الإمام أحمد في كتابه الزهد ص٢٣٦ :

إن الرجل كان يبلغه موت أخ من إخوانه فيقول: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، كدت والله أن أكون السواد المختطف، فيزيده الله بذلك جدًّا واجتهادًا، فيلبث بذلك ما شاء الله، ثم يبلغه موت أخ من إخوانه فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، كدت والله أن أكون أنا السواد المختطف فيزيده الله بذلك جدًّا واجتهادًا، فردَّد الحسن هذا الكلام غيره مرة، والله ما زال كذلك حتى مات موتًا كيسًا.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عنبسة الخواص-رحمه الله- قال:

" إن رجلا من الصدر الأول دخل المقابر، فمر بجمجمة بادية من بعض القبور، فحزن حزنًا شديدًا ثم واراها ثم التفت فلم ير إلا القبور، فحزن حزنًا شديدًا فحدث نفسه فقال: لو كشف لي عن بعضهم فسألته عما رأى، قال: فأُتي في منامه، فقيل له: لا تغتر بتشييد القبور من فوقهم، فإن القوم قد بليت خدودهم في التراب فمن بين مسرور ينتظر ثواب الله ﷻ وبين مغموم آسفا على عقابه، فإياك والغفلة عما رأيت، فاجتهد الرجل بعد ذلك اجتهادًا شديدًا حتى مات -رحمه الله- تعالى ".

(أهوال القبور ص١٨٠)

وجاء في "كتاب صفة الصفوة ٤/٣١ عن عجردة العمية-رحمها الله-": أنه إذا دخل عليها الليل لبست ثيابها ثم قامت إلى المحراب، فلا تزال تصلى إلى السحر، ثم تجلس فتدعو الله حتى يطلع الفجر، فقالت لها آمنة بنت يعلى بن سهيل لو نمت من الليل شيئا فبكت، وقالت ذكر الموت لا يدعني أنام.

وجاء في كتاب الزهد الكبير للبيهقي ص٢٥٤:

كانت إحدى العابدات إذا أصبحت قالت: يا نفس ساعدينى يومي هذا، فلعلك لا ترين بياض يوم أبدًا، وإذا أمست قالت: يا نفسي ساعدينى ليلتي هذه فلعلك لا ترين سواد ليلة أبدًا، فمازالت تخدع وتدفع يومها بليلها، وليلها بنهارها حتى ماتت على ذلك.

يقول اللبيدي-رحمه الله-:

وجدتُ بعد موت أبي إسحاق الجبنياني -رحمه الله- رقعة تحت حصيرة مكتوبة بخطه وفيها: رجل وقف له هاتف فقال له: أحسن.. أحسن عملك فقد دنا أجلك. فقال لي ولده عبد الرحمن: أنه كان إذا قصر في العمل أخرج الرقعة فنظر فيها ورجع إلى جده.

وهكذا حال الصالحين العقلاء لما أيقنوا أن الحياة أيامٌ معدودات، وأنفاسٌ محدودات، وأرزاقٌ مقسومات فسخروا حياتهم لفعل الطاعات، وجمع الحسنات، بخلاف أهل البطالة والغفلة والكسالى الذين رضوا بالدون وظل زائل، ومتاع فانٍ.

وصدق القائل حيث قال:

إنَّ لله عبــادًا فُطنــــا	طلَّقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا	أنهــا ليست لحي وطنــا
جعلـوها لُجَّـة واتخذوا	صالحَ الأعمال فيها سُفنا

أخي الحبيب... أزف الرحيل وما حصل الزاد، فيا لرحيلك ما أعجله، يا لسفرك ما أطوله، يا لطريقك ما أهوله.

تنبه أيها الشاب لاغتنام العمل، تيقظ أيها الكهل قبل خيبة الأمل، بادر أيها الشيخ فكأن قد قيل: ورحل، يا من ستفوت أنفاسه استدركها، يا من ستفوت أيامه أدركها، أعز الأنفُس عليك نفسك فلا تهلكها. (رءوس القوارير لابن الجوزي ص١٥٣)

٢٧-*التفكير في المآل*:

التفكير في المآل وتذكر الموت والقبر وتذكر الآخرة، والوقوف بين يدى الله للمساءلة، والحساب، والميزان، وتذكر تطاير الصحف، والمرور على الصراط، والتدبر في دار القرار، لأيهما تعمل وفي طريق أيهما تسعى. **قال تعالى:** ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ(١٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ(١٩) لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ(٢٠) لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الحشر ١٨-٢١)

وقال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (آل عمران:١٨٥)

إن تذكر هذه الأمور العظيمة، وهذه الأهوال الجسيمة يطرد الكسل، ويولد همة عالية للتشمير في نيل ما عند الله من الكرامة والفضل لأهل طاعته، ويثمر سعيًا دؤوبًا في سبيل الخلاص والنجاة، وخوفًا ووجلًا من الخسارة الفادحة، **قال تعالى :** ﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ(١٥) لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴾ (الزمر:١٥،١٦)

(ذم الكسل للشيخ عبد الله بن أحمد بن لمح الخولاني – حفظه الله– ص١٠٥)

قال ابن رجب–رحمه الله– كما في" كتاب التخويف من النار ص٧،٨":

" فإن الله خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه ويخشوه ويخافوه، ونصب لهم الأدلة الدالة على عظمته وكبريائه ليهابوه ويخافوه خوف الإجلال، ووصف لهم شدة عذابه ودار عقابه التي أعدها لمن عصاه ليتقوه بصالح الأعمال، ولهذا كرر سبحانه وتعالى في كتابه ذكر النار وما أعده فيها لأعدائه من العذاب والنكال، وما احتوت عليه من الزقوم والضريع والحميم والسلاسل والأغلال إلى غير ذلك مما فيها من العظائم والأهوال، ودعا عباده بذلك إلى خشيته وتقواه والمسارعة إلى امتثال ما يأمر به ويحبه ويرضاه واجتناب ما ينهى عنه ويكرهه ويأباه فمن تأمل الكتاب الكريم وأدار فكره فيه وجد من ذلك العجب العجاب وكذلك السنة الصحيحة التي هي مفسرة ومبينة لمعاني الكتاب، وكذلك سير السلف الصالح أهل العلم والإيمان من الصحابة والتابعين لهم بإحسان من تأملها علم أحوال القوم وما كانوا عليه من الخوف والخشية والإخبات وإن ذلك هو الذي رقاهم إلى تلك الأحوال الشريفة والمقامات السنيات من شدة الاجتهاد في الطاعات والانكفاف عن دقائق الأعمال المكروهات فضلًا عن المحرمات. اهـ.

وذكر الإمام ابن رجب أيضًا في كتابه التخويف من النار ص٤٤ فصلا فيمن منعه خوف جهنم من النوم فقال–رحمه الله–: " ومن الخائفين من منعه خوف جهنم من النوم كشداد بن أوس كان إذا أوى إلى فراشه كأنه حبة على مقلى فيقول: اللهم إن ذكر جهنم لا يدعني أنام، فيقوم إلى مصلاه. وقال أبو سليمان الداراني:" كان طاووس يفترش فراشه ثم يضطجع عليه فيتقلى كما تقلى الحبة على المقلى، ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول: طيَّر ذكر جهنم نوم العابدين ". اهـ.

وقال مالك بن دينار: " قالت أبنة الربيع بن خثيم يا أبت! مالك لا تنام والناس ينامون؟ فقال: إن ذكر النار لا تدع أباك ينام ".

يقول ابن الجوزي–رحمه الله– كما في" صيد الخاطر ص٣٣٦، ٣٣٧":

" والله إني لأتخايل دخول الجنة ودوام الإقامة فيها من غير مرض ولا بصاق ولا نوم ولا آفة تطرأ بل صحة دائمة، وأغراض متصلة لا يعترضها منغِّص في نعيم متجدد في كل لحظة إلى زيادة لا تتناهى، فأطيش ويكاد الطبع يضيق عن تصديق ذلك لولا أن الشرع قد ضمنه ". اهـ.

ومعلوم أن تلك المنازل إنما تكون على قدر الاجتهاد ههنا، فواعجبًا من مضيع لحظة فيها. فتسبيحة تغرس له في الجنة نخلة أكلها دائم وظلها.

فيا أيها الخائف من فوت ذلك شجع قلبك بالرجاء، ويا أيها المنزعج لذكر الموت تلمح ما بعد مرارة الشربة من العافية، فإنه من ساعة خروج الروح؛ لا بل قبل خروجها تنكشف المنازل لأصحابها فيهون سير المجذوب للذة المنتقل إليه، ثم الأرواح في حواصل طير تعلق في أشجار الجنة.

فكل الآفات والمخالفات في نهار الأجل وقد اصفرت شمس العمر فالبدار البدار قبل الغروب ولا معين يرافق على تلك الطريق إلا الفكر إذا جلس مع العقل فتذاكرا العواقب فإذا أفرغ ذلك المجلس فالنظر في سير المجدين فإنه يعود مستجلبًا للفكر منها للفضائل والتوفيق من وراء ذلك ومتى أرادك لشيء هيأك له. فأما مخالطة الذين ليس عندهم خبر إلا من العاجلة فهو من أكبر أسباب مرض الفهم وعلل العقل، والعزلة عن الشر: حمية، والحمية سبب العافية. اهـ.

والخلاصة:

أن الخوف من المآل يقتل كل بادرة كسل أو مقدمة غفلة، ويؤدى بالعبد إلى العمل الصالح والاستدراك السريع عقب أي زلة، وهذا شعار المؤمنين:" خوف دافع للعمل، ووجل طارد للكسل ".

وقد قال ابن الجوزي –رحمه الله– في" كتابه الطب الروحاني ص٤٩":

" الخوف سوط يُساق به المتواني ". اهـ.

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله– تعالى– أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها......إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك